وحدة المُوالين لثيودوسيوس ودورها في الحدود المصريّة الفلسطينيّة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين

*محمد زايد عبدالله**

ملخص

في الثلاثين من مايو عام 512م، يعترف المَدْعُوَّانِ ستيفن Stephen وأخوه أوس Aws بأنّ كليهما من سكان مدينة رينوكورورا Rhinocorura (العريش)؛ لكونهما جنديين في وحدة المُوالين لثيودوسيوس المتمركزة في المدينة نفسِها، ولكنهما يُقرّان في الوقت نفسه بأنهما قد وُلدا في بلدة نيسانا Nessana (العوجة)، ومن اللافت للنظر أنّ الوثيقة كُتبت بين طرفين يعيش كلاهُما في مدينة رينوكورورا، ولكنّها وُجدت في مسقط رأس الأخوين في بلدة نيسانا. وفي وثيقة أخرى ترجع لعام 590م نجد ذكرًا لاثنين من جنود وحدة المُوالين لثيودوسيوس ومقرّها معسكر نيسانا، ولكنهما في تلك المرّة يخدمان في مدينة إلوسا Elusa (الخلصة). وهو ما اثار عدد من التساؤلات حول وحدة المُوالين لثيودوسيوس وطبيعةُ العلاقة بين كلّ من رينوكورورا وإلوسا ونيسانا.

وقد خَلُصَ هذا البحث إلى أنّ الإدارة البيزنطيّة على الجبهة الجنوبيّة الشرقيّة واجهت الكثير من المشكلات بسبب هجمات القبائل العربيّة الضاربة في الصّحراء العربيّة المحالفة للفرس، ممّا دفعها إلى تكوين وحدة المُوالين لثيودوسيوس؛ فاستعانت بيزنطة ببعض القبائل العربيّة من بقايا دولة الأنباط ليكونوا حرّاسًا للحدود البيزنطيّة في صحراء النقب مقابل منحهم أراضيَ فى الولايات الحدوديّة.

الكلمات الدالة : الفترة البيزنطية، فلسطين، إلوسا، سيناء، نيسانا.

المقدمة:

إنَّ دراسة تاريخ العسكريّة البيزنطيّة على الحدود المصريّة الفلسطينيّة من الدراسات المهمّة والصعبة في آنٍ؛ لعدم اهتمام بعض المصادر البيزنطيّة بذكر الأحداث التي وقعت في تلك المنطقة خلال الحِقبة البيزنطية الباكرة، ربّما لبُعدها عن العاصمة القسطنطينيّة، أو لعدم جدوى الحدود المصريّة الفلسطينيّة من الناحية الاقتصاديّة –حَسَبَ وُجهة النظر البيزنطية– على الرّغم من أهميّتها الاستراتيجيّة(1)؛ بِوَصْفِها خطَّ الدفاع عن الحدود البيزنطيّة ضدّ القبائل العربيّة القاطنة شمال شبه الجزيرة العربيّة قبل ظهور الإسلام والفترة الباكرة من الدعوة الإسلاميّة. يُضاف إلى الإشكاليات السابقة، انفراد المؤرّخين والأثريين الصّهاينة في دولة الكيان الصهيونيّ المحتلّ أو حتى في معظم أقطار العالم الغربيّ بدور البحث والتنقيب ونشر الوثائق والمصادر الخاصّة بتاريخ فلسطين وسيناء خلال القرن العشرين،

* قسم التاريخ، جامعة الفيوم، مصر، تاريخ الاستلام: 2018/6/25، تاريخ القبول: 2019/9/16.

(1) ظهرت وجهة النظر البيزنطيّة تجاه الحدود البيزنطيّة في مصر وفلسطين خلال القرن السادس على لسان بروكوبيوس القيساري الذي ذكر أنّ تلك المنطقة قاحلةٌ إلّا من بعض النخيل. انظر:

Procopius of Caesarea, *History of the Wars*, 5 vols. trans. H. B. Dewing, **Loeb Classical Library**, London and New York, 1914, vol. 1 (*The Persian War*), pp. 180-181.

©2019م عمادة البحث العلمي/الجامعة الأردنية. جميع الحقوق

ظنًّا منهم أنهم الأَوّلى بكتابة تاريخ تلك المنطقة؛ وذلك للبحث عن تاريخ أجدادهم؛ فخرجت دراسات عدّة من خلال المراكز البحثّية والجامعات في دولة الكيان الصهيونيّ المحتلّ وبعض الجامعات الأمريكيّة والأوروبيّة، ولمعت أسماء الكثير من الباحثين في مجال التاريخ الرومانيّ المتأخّر أو البيزنطيّ الباكر، وكان من بين هؤلاء أساتذة الجامعة العبريّة في القدس أمثال ميخائيل أفي يونه M. Avi-Yonah، وتلاميذه أبراهام نيجيفA. Negev، وباروخ ليفشيتز B. Lifshitz، ويورام تسافرير Y. Tsafrir؛ إذ أصرّ هؤلاء الباحثون على استخدام أسماء المدن والقرى الفلسطينيّة والسيناويّة كما جاءت في الكتابات التوراتيّة، وإنْ كانوا يشيرون إلى أسمائها الرومانيّة؛ ليؤكّدوا استمراريّة استخدام الأسماء العبريّة القديمة لتلك المدن والقرى حتى وقتنا الحالي.

كان هؤلاء الباحثون النُّواة الأولى لمجموعة من الأثريين الصّهاينة بعد الاحتلال الصهيونيّ لفلسطين عام 1948م، فقاموا بمجموعة من الحفائر في صحراء النقب Negeb، حاولوا من خلال التقارير التي نشروها عنها تزييف بعض الحقائق، والتأكيد دائمًا على الوجود الصهيوني في تلك المنطقة عبر العصور(2).

وإلى جانب الباحثين داخل دولة الكيان الصهيونيّ المحتلّ وُجِد عدد من الباحثين الأمريكيين، أمثال فيليب مايرسون Ph. Mayerson الأستاذ في جامعة نيويورك، وبنيامين إسحق B. Isaac الأستاذ في جامعة برينكتون Princeton بنيوجيرسي New Jersey؛ إذ اهتمّ الأول بالنُّظم الإداريّة في فلسطين، ونشر الوثائق الخاصّة ببعض المدن في صحراء النقب(3)، إضافة إلى مناقشة كتابات الرّهبان والرّحالة الذين زاروا سيناء خلال الفترة الرومانيّة

(2) ناقش أفي يونه إشكاليّة استحداث طرق رومانيّة جديدة في صحراء النقب خلال العصر الرومانيّ، خاصّةً الطريق الواصل بين غزّة وإلوسا، والممتدّ حتى البترا وأيلة. انظر:

Avi-Yonah, M., "The Development of the Roman Road System in Palestine", ***Israel Exploration Journal*** 1/1 (1950-1951), pp. 54-60.

كما نشر أبراهام نيجيف العديد من التقارير الأثريّة للحفائر التي أجراها في صحراء النقب، خاصّةً حفائره في عَبْدَه:

Negev, A., "Avdat: A caravan Halt in the Negev", ***Archaeology*** 14/2 (June 1961), pp. 122-130; Negev, A., "Nabatean Inscriptions from 'Avdat (Oboda)", ***Israel Exploration Journal***, vol. 11/3 (1961), pp. 127-138; vol. 13/2 (1963), pp. 113-124; Negev, A., "Oboda, Mampsis and Provincia Arabia", ***Israel Exploration Journal*** 17/1 (1967), pp. 46-55; Negev, A., "The Architecture of Oboda: final report", ***Qedem*** 36: The Architecture of Oboda, Final report, 1997, pp. 1-214.

واهتمّ باروخ ليفشيتز بدراسة التاريخ العسكريّ من خلال النقوش الأثريّة في كلٍّ من فلسطين وسيناء:

Lifshitz, B., "Sur la date du transfert de la legio VI Ferrata en Palestine", ***Latomus*** 191 (Janvier-Mars 1960), pp. 109-111; Lifshitz, B., "Inscriptions de Sinaï et de Palestine", ***Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*** 7 (1971), pp. 151-163.

واهتمّ يورام تسافرير بدراسة النُّظم الإداريّة في منطقة النقب، كما نشر نتائج الحفائر الأثريّة في بلدة الرُحيبة:

Tsafrir, Y., "The Transfer of the Negev, Sinai and Southern Transjordan from 'Arabia' to 'Palaestina'", ***Israel Exploration Journal*** 36/ 1-2 (1986), pp. 77-86; Tsafrir Y. and Holum K.G., "Rehovot-in-the-Negev: Preliminary Report, 1986", ***Israel Exploration Journal*** 38/3 (1988), pp. 117-127.

(3) Mayerson, Ph., "The Ancient Agricultural Regime of Nessana and the Central Negev", In H.D. Colt (ed.), *Excavations at Nessana*, vol. 1, London, 1962, pp. 224-269. rep. in Ph. Mayerson, *Monks*, *Martyrs*, *Soldiers and Saracens*, *Papers on the Near East in Late Antiquity (1962-1993)*, Jerusalem, 1994, pp. 21-39; Mayerson, Ph, "The Desert of Southern Palestine According to Byzantine Sources", ***Proceedings of the American Philosophical Society*** 107/2 (Apr. 15, 1963), pp. 160-172; Mayerson, Ph, "A Note on Demography and Land Use in the Ancient Negev", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 185 (1967), pp. 39-43; Mayerson, Ph, "The City of Elusa in the Literary Sources of the Fourth-Sixth Centuries", ***Israel Exploration Journal*** 33/3-4 (1983), pp. 247-253; Mayerson, Ph., "'Palaestina' vs. 'Arabia' in the Byzantine Sources", ***Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*** 56 (1984), pp. 223-230; Mayerson, Ph., "The Saracens and the *Limes*",

والبيزنطيّة، ونشر بعض النقوش والوثائق البرديّة الخاصّة ببعض المناطق داخل سيناء(4). أمّا بنيامين إسحق فقد ناقش مسألة الحدود البيزنطيّة معَ القبائل العربيّة، ودور تلك القبائل البدويّة في تهديد أمن الطرق والمدن خلال الفترة البيزنطيّة(5).

وفي الوقت الذي لقيت فيه الحدود المصريّة الفلسطينيّة اهتمام هؤلاء المؤرّخين والأثريين الأجانب، نجد ندرةً في الدراسات العربيّة في هذا المجال، وربّما كان مرجع ذلك إلى الظروف السياسيّة التي جعلت من فلسطين دولة محتلّة طوال القرن العشرين من قبل الإنجليز ومن بعدهم اليهود الصهاينة، وسيطرة علمائهم على القسط الأكبر من الدراسات التاريخيّة والأثريّة وحتى الجغرافيّة والإثنوجرافيّة، كمحاولة مستميتة منهم لإثبات زعمهم بحقهم في الأراضي الفلسطينيّة وما حولها من الأقطار العربيّة، خاصّةً مصر وفلسطين، وهو الأمر الذي جعل معظم الدراسات الخاصّة بتاريخ فلسطين المرتبطة بالجانب الوثائقيّ والأثريّ يخرج إلى النور على أيدي هؤلاء الباحثين. وعلى الرغم من ذلك، كانت هناك دراسة لنعوم بك شقير (1864–1922م) عن "تاريخ سيناء وجغرافيتها"، وهي من أقدم الدراسات العربيّة التي تناولت منطقة الحدود المصريّة الفلسطينيّة؛ حيث عمل المؤلّف في المخابرات الحربيّة للجيش المصريّ، وشارك في لجنة ترسيم الحدود المصريّة الشاميّة عام 1906م، وكُلّف مدَّ اللجنة بالمعلومات الخاصّة عن الحدود والسكان وعلاقتهم بمصر وسوريا، فاستغرقت تلك المَهَمّة ستة أشهر، انتهت بكتابته تاريخ سيناء، الذي نُشر عام 1916م، وما يهمّنا في الكتاب ذِكْرُ المؤلّف أنّ الحدود الشرقيّة بين سيناء وفلسطين تقع ضمن الأودية المتفرّعة من وادي العريش، ومنها وادي العوجاء أو الأعوج (لكثرة تعرّجه)، وعلى جانب الوادي وُجدت آثار بيزنطيّة تشير إلى موقع بلدة العوجاء، ومن الأدلة الأثريّة التي أتى على ذكرها نعوم شقير ثلاثة أحجار جُلِبَتْ من جبّانة المدينة، تحتوى على أسماء يونانيّة

Bulletin of the American Schools of Oriental Research 262 (1986), pp. 35-47; Mayerson, Ph., "Libanius and the Administration of Palestine", ***Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*** 69 (1987), pp. 251-260; Mayerson, Ph., "Urbanization in *Palaestina Tertia*: Pilgrims and Paradoxes", Originally published in Hebrew in: ***Cathedra*** 45 (1987), p. 19-40; Mayerson, Ph., "Justinian's Novel 103 and the Reorganization of Palestine", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 269 (Feb. 1988), pp. 65-71; Mayerson, Ph., "Towards a Comparative Study of a Frontier", ***Israel Exploration Journal*** 40 (1990), pp. 267-279.

(4)Mayerson, Ph., "Observations on the 'Nilus' *Narrationes*: Evidennce for an Unknown Christian Sect?", ***Journal of the American Research Center in Egypt*** 12 (1975), pp. 51-74; Mayerson, Ph., "An Inscription in the Monastery of St. Catherine and the Martyr Tradition in Sinai", ***Dumbarton Oaks Papers*** 30 (1976), pp. 375-379; Mayerson, Ph., "Procopius or Eutychius on the Construction of the Monastery at Mount Sinai: Which is the More Reliable Source", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 230 (1978), pp. 33-38; Mayerson, Ph., "The Pilgrim Routes to Mount Sinai and the Armenians", ***Israel Exploration Journal*** 32/1 (1982), pp. 44-57; Mayerson, Ph., "The Island of Iotabê in the Byzantine Sources: A Reprise", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 287 (Aug., 1992), pp. 1-4; Mayerson, Ph., "A Note on Iotabê and Several Other Islands in the Red Sea" ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 298 (May, 1995), pp. 33-35; Mayerson, Ph., "Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysma (Suez)", ***Journal of the American Research Center in Egypt*** 33 (1996), pp. 61-64; Mayerson, Ph., "The Port of Clysma (Suez) in Transition from Roman to Arab Rule", ***Journal of Near Eastern Studies*** 55/2 (Apr., 1996), pp. 119-126.

(5) Isaac, B., "The Meaning of the Terms Limes and Limitanei", ***Journal of Roman Studies*** 78 (1988), pp. 126-136, 139-141.; Isaac, B., "Bandits in Judaea and Arabia", ***Harvard Studies in Classical Philology*** 88 (1984), p.

ومصريّة قبطيّة، ثمّ ذكر المؤلّف أنّ منطقة العوجاء وقعت ضمن الحدود الفلسطينيّة حَسَبَ ترسيم عام 1906م[6].

وتظلّ المنطقة بُعيد الاهتمام العربيّ حتى أواخر ثمانينيّات القرن العشرين، عندما نشر مصطفى العبادي بحثًا عن موقع مدينة نيسانا Nessana في ضَوء الأوراق البرديّة اليونانيّة خلال العصر البيزنطيّ، والبرديّ العربيّ خلال الفترة الباكرة من الحكم الإسلاميّ، وفيه قارن بين أوراق البرديّ في نيسانا والمصادر الإسلاميّة التاريخيّة والفقهيّة حول النُّظم الإداريّة والماليّة والحربيّة لنيسانا، وانتهى فيه إلى القول بعدالة النظم الماليّة للخلافة الإسلاميّة من خَراج وجزية وأرزاق المقاتلة، ودلّل على أنّ ضريبة الرزق في العصر الإسلاميّ كانت استمرارًا للضريبة الحربيّة في العصر البيزنطيّ[7].

وفي بداية الألفيّة الثالثة نُشرت مقالة جديدة عن بردي نيسانا، وذلك ضمن أعمال المؤتمر الدولي عن فلسطين في ضَوء أوراق البردي والنقوش، وعرض أحمد فؤاد سيّد في مقاله لتاريخ الحفائر الأثريّة في موقعين فلسطينيين؛ نصتان (عوجاء الحافر) جنوب غرب فلسطين، وخربة المرد على شاطئ البحر الميّت، أمّا عن نصتان أو نيسانا فهو يتحدّث عن البدايات الأولى للحفائر الأثريّة في تلك المنطقة على يد المستشرق دونسكومبي كولت H.D. Colt عام 1936م، والدراسات التي كُتبت عن تلك المنطقة في المجلّات الأثريّة الأوروبيّة والأمريكيّة خلال الفترة التالية، كما عرض للدراسة العربيّة الوحيدة لمصطفى العبادي التي أُشير إليها آنفًا، وركّزت على البرديات العربيّة التي يرجع تاريخها إلى عصر الخلفاء الراشدين والخلافة الأُمويّة، وتناولت تاريخ النُّظم الماليّة والإداريّة لمنطقة نيسانا خلال الفترة الإسلاميّة الباكرة[8].

أمّا عن الدراسات الأجنبيّة المتعلّقة بتلك المنطقة الشماليّة من صحراء النقب فكثيرة، وأهمّها دراسة الأثريّ الأمريكيّ دونسكومبي كولت عن بلدة نيسانا، الذي عثر خلال الفترة (1935–1937م) على أرشيف البلدة الوثائقيّ لدى اكتشافه بقايا المعسكر الحربيّ، ونشره في ما بعدُ خلال الفترة (1950–1962م) في ثلاثة أجزاء، ليشتمل على الأعمال الأدبيّة التي وُجدت في 13 برديّة باللغات اليونانيّة واللاتينيّة والعربيّة، واستُخدمت لتعليم الأطفال في مدرسة البلدة[9]، كما نشر كاسبر كرايمر C.J. Kraemer 182 وثيقة برديّة تحت عنوان P.Ness. III، تشتمل معظمها على خطابات وعقود وإيصالات ووثائقَ قانونيّة وماليّة ووصايا ميراث لسكان بلدة نيسانا (العوجة) وبعض البلدات

(6) نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، معَ خُلاصة تاريخ مصر الشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجاريّة والحربيّة وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ إلى اليوم، تقديم الدكتور محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجيل، بيروت، 1991م، ص72–73.

(7) مصطفى العبادي، "موقع نصتان في ضوء الوثائق البرديّة قبل الإسلام وخلال النصف الأول من الحكم العربي"، منشور ضمن كتاب: دراسات في تاريخ الجزيرة العربيّة، الكتاب الثالث (الجزيرة العربيّة في عهد الرسول والخلفاء الراشدين)، جامعة الملك سعود، كليّة الآداب، قسم التاريخ، 1410هـ/ 1989م، ص201–234.

(8) أحمد فؤاد سيد، "الحكم الإسلامي لفلسطين في ظلّ دولة الخلافة الإسلاميّة زمن الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين في ضوء وجيدتي البردي العربي بفلسطين: عوجاء الحافر (نصتان)، وخربة المرد"، **أعمال المؤتمر الدولي لفلسطين في ضَوء أوراق البردي والنقوش**، 5– 9 سبتمبر 1998م، مركز الدراسات البرديّة والنقوش – جامعة عين شمس، القاهرة، 2000م، ص369–406.

(9) MacCoull, L.S.B., "Nessana Papyri", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, p. 1458.

والمدن المجاورة، مثل مدينتي إلوسا (الخلصة) ورينوكورورا (العريش)[10].

وقد حصلت الباحثة راشيل سترامسا R. Stroumsa على أطروحتها للدكتوراة عن "السكان والهُويّة في نيسانا" من جامعة دوك Duke عام 2008م، واحتوت دراستها على أربعة فصول (النُخبة والهُويّة، ونيسانا والإمبراطوريات، والهُويّة العرقية، والهُويّة اللُّغويّة)، ووصلت إلى نتيجة مفاداها أنّ كلّ الشخصيات التي وردت في بردي نيسانا المنشور لم يُعرِّفوا أنفسَهم عرقيًّا أو لُغويًّا أو بتبعيتهم السياسيّة لدولةٍ ما، ولكنهم عرّفوا عن أنفسِهم اجتماعيًّا واقتصاديًّا. وعلى الرّغم من علاقة نيسانا بجيرانها من المدن والقرى في صحراء النقب، فإنّ الباحثة تعترف بعدم قدرتها على بناء علاقات قرابة بين سكان نيسانا والمنطقة المجاورة لها، وهي تؤكّد أنّ دراستها لتلك القرية كانت بمثابة دراسة حالة لا يمكن تعميم نتائجها على ما حولها[11].

وعلى عكس الدراسة السابقة، توصّل جيوفاني روفيني G. Ruffini في دراستين منفصلتين –إحداهما كانت أطروحته للدكتوراة عام 2005م، التي نُشرت عام 2008م، بعنوان: "الشبكات الاجتماعيّة في مصر البيزنطية"، والثانية بعنوان: "حياة القرية والقوى العائليّة في نيسانا في الفترة الرومانيّة المتأخّرة"، التي صدرت عام 2011م – إلى القول إنّ هناك تشابهًا بين كلّ من قريتي أفروديتو Aphrodito (كوم أشقوة) في مصر وأُمّ الرّصاص في الأردنّ معَ قرية نيسانا من حيثُ العلاقاتُ الاجتماعيّةُ بين العائلات والسكان القاطنين تلك القرى؛ حيث استعرض الباحث في دراسته الآراء السابقة عليه بخصوص اقتراحات الباحثين بشأن عدد سكان القرى السابقة، وأهمّ العائلات الموجودة فيها من خلال أوراق البردي، خاصّةً التي نشرها كاسبر كرايمر عام 1962م، أو من خلال تقارير الحفائر الأثريّة، والعلاقات بين تلك العائلات من خلال عقود الزواج والتقسيم والميراث والبيع والشراء، وأهمّ الوظائف التي عملت بها أشهر الشخصيات في تلك العائلات[12].

وممّا سبق، ولعدم وجود دراسة متكاملة ومنفصلة عن الوحدات الحربيّة على الحدود المصريّة الفلسطينيّة خلال العصر البيزنطي، اختار الباحثُ موضوع: "**وحدة المُوالين لثيودوسيوس ودورها في الحدود المصريّة الفلسطينيّة خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين**"؛ لتبيان الخلفيّة التاريخيّة لنشأة تلك الوحدة، وإشكاليّة نسبتها إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الأول وسمّيه الثاني، على الرّغم من ظهورها في الوثائق خلال القرن السادس الميلادي، وأسباب وجود تلك الوحدة في عدّة مناطق تابعة لولايتين مختلفتين، وهل كان هناك تنسيق بين هاتين الولايتين من الناحية العسكريّة؟ أم أنّ جزءًا من تلك الوحدة انتقل من منطقة إلى أخرى؟ وما الأسباب التي أدّت إلى تلك التنقلات؟ وما مردود ذلك على نظام الدفاع العسكريّ في منطقة صحراء النقب وما جاورها حتى الحدود الشماليّة بين ولايتي مصر وفلسطين الثالثة؟ **ولذلك سوف تُقسّم الدراسة إلى العناصر الآتية:**

أ- الموقع الجغرافيّ والخلفيّة التاريخيّة للحدود الشماليّة بين مصر وفلسطين.

ب- نشأة وحدة المُوالين لثيودوسيوس.

ج- النُّظم العسكريّة في وحدة المُوالين لثيودوسيوس.

---

(10) *P.Ness*. = Kraemer, C.J. (ed.), *Excavations at Nissana*, vol. 3 (Non-Literary Papyri), Princeton University Press, 1958, pp. 40-330.

(11) Stroumsa, R., "People and Identities in Nessana", Ph.D. Thesis, Duke University, 2008, pp. 247-250.

(12) Ruffini, G, *Social Networks in Byzantine Egypt*, Cambridge University Press, 2008, pp. 8, 253-254; Ruffini, G, "Village Life and Family Power in Late Antique Nessana", ***Transactions of the American Philological Association*** 141/1 (Spring 2011), pp. 201-225.

د- الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة لوحدة المُوالين لثيودوسيوس.

هـ- أسباب ضعف تلك الوحدة واضمحلالها خلال القرن السابع الميلادي.

أ- الموقع الجغرافيّ والخلفيّة التاريخيّة للحدود الشماليّة بين مصر وفلسطين:

كانت الحدود المصريّة الفلسطينيّة خلال العصر الرومانيّ تابعة -من الناحية الإداريّة- لولايتي مصر Aegyptus والعربيّة Arabia، فوقعت مدينة رينوكورورا Rhinocorura (العريش) ضمن ولاية مصر، بينما وقعت منطقة النقب Negeb -التي تقع ضمنها بلدة نيسانا Nessana (العوجة) وإلوسا Elusa (الخلصة)- ضمن ولاية العربيّة[13]، وفي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي اقتُطعت الأجزاء الجنوبيّة والغربيّة من ولاية العربيّة، التي اشتملت على مناطق شرق الأُردنّ وصحراء النقب والجزء الجنوبيّ الشرقيّ من سيناء، وأُطلق عليها اسمُ "فلسطين سالوتاريس" Palaestina Salutaris[14]، ثمّ أصدر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (408-450م) مرسومًا في الثالث والعشرين من مارس عام 409م بتغيير اسم الولاية إلى "فلسطين الثالثة" Palaestina tertia[15]، وبذلك أصبحت صحراء النقب -التي تقع فيها بلدة العوجة- ضمن ولاية فلسطين الثالثة[16]، بينما ظلّت مدينة رينوكورورا تابعة لإقليم أوغسطامنيكا Augustamnica شرق الدلتا، الذي كان تابعًا لولاية مصر[17].

---

(13) Bowersock, G. W., "A Report on Arabia Provincia", ***Journal of Roman Studies*** 61 (1971), p. 230; Bowersock, G.W., *Roman Arabia*, Harvard University Press: Cambridge, 1983, p. 2.

(14) Ward, W. D., "'In the Province Recently Called Palestine Salutaris': Provincial Changes in Palestine and Arabia in the Late Third and Fourth Centuries C.E.", ***Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*** 181 (2012), p. 296.

تولّى الحكم في ولاية فلسطين سالوتاريس قائد رومانيّ برتبة برايسيس *praeses*.

Notitia Dignitatum, ed. O. Seeck, Berlin, 1876, Or.1.87, p. 4.

وقد تم تعريف البرايسيس في قوانين جستنيان على أنه لقب حمله القادة العسكريون والسفراء الإمبراطوريون، وكذلك حكام الولايات، وكان على حامله أن يكون من الطبقة السيناتوريّة، ويعتبر البرايسيس (حاكم الإقليم) نائبًا للإمبراطور في إقليمه، وله جميع السلطات المدنيّة والقضائيّة. انظر:

Justinian, *The Digest*, 2 vols. trans. Ch. H. Monro, Cambridge University Press: London, 1904, vol. 1, pp. 56-61.

(15) *The Theodosian Code*, In *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, **Corpus Juris Romanorum** 1, New York, 1951, p. 162; Stephanus Byzantinus, *Ethnika*, trans. W. de Gruyter, vol. 1: A-Γ, **Corpus Fontium Historiae Byzantinae** 43/1, Berlin, 2006, A56, pp. 54-55.

كانت مدينة الرقيم (البترا) عاصمةً لولاية العربيّة، فلمّا اقتُطعت ولاية فلسطين الثالثة من العربيّة أصبحت البترا ضمن الولاية الجديدة، وانتقلت العاصمة إلى إلوسا Elusa (الخلصة)، ثمّ عادت مرّة أُخرى إلى البترا أواخر القرن الخامس الميلاديّ.

Eusebius of Caesarea, *Palestine in the fourth Century*, *The Onomasticon by Eusebius of Caesarea with Jerome's Latin translation and expansion in parallel from the edition of E. Klostermann*, trans. F. Grenville, Carta Press: Jerusalem, 2003, p. 27. See also: Dan, Y., "Palaestina Salutaris (Tertia) and its Capital", ***Israel Exploration Journal*** 32/ 2-3 (1982), pp. 135-136; Tsafrir, "The Transfer of the Negev", pp. 81, 85-86.

(16) Mayerson, "'Palaestina' vs. 'Arabia'", pp. 223, 227, 230; Meimari, Y.E., *Chronological Systems in Roman-Byzantine Palestine and Arabia*, *the Evidence of the dated Greek Inscriptions*, Athens, 1992, p. 147.

(17) Lallemand, J., *L'administration civile de l'Égypte de l'avènement de Dioclétien à la création du diocèse (284-382)*, *contribution à l'étude des rapports entre l'Égypte et l'empire à la fin du IIIe et au I IVe siècle*, académie royale de Belgique, **Classe des letters memoires** 57/2, Bruxelles, 1964, pp.

عُدّت صحراء النقب من أهمّ المناطق الجغرافيّة والتاريخيّة بين مصر وفلسطين منذ أقدم العصور؛ حيث مثّلت حلقة الربط بين القطرين، وامتدّت لتشمل حدود ثلاث دول خلال العصر الحديث (مصر وفلسطين والمملكة الأُردنيّة)، وقد وقعت المنطقة الجغرافيّة للدراسة التي بين أيدينا في القطاع الشمالي والأوسط لمنطقة النقب[18]. ومثّلت مدينة رينوكورورا Rhinocorura أو رينوكولورا Rhinocolura (العريش) نقطة مهمّة على الطرف الشماليّ الشرقيّ من الحدود المصريّة منذ أقدم العصور، وقد ذكر الجغرافيّ سترابو Strabo (63 ق.م–21م) أنّ أصل كلمة رينوكولورا Ρινοκόλουρα –"الوغد جدع الأنف"– يرجع إلى الأثيوبيين الذين كانوا يهاجمون مصر في فترة السيطرة الفارسيّة خلال القرن الرابع قبل الميلاد، فبدلًا من قتلهم أمر الملك الفارسي بقطع أنوفهم وأجبرهم على الإقامة في ذلك المكان[19]. وفي بداية القرن الرابع الميلاديّ ذُكِرت رينوكورورا في رحلة الرومانيّ أنطونيني أنها تبعد عن رفح Raphia نحوَ 22 ميلاً رومانيًّا (33 كم)[20]، كما ورد وصفٌ آخرُ لتلك المنطقة في إحدى أوراق البرديّ اليونانيّ (ربّما يرجع تاريخه إلى عام 322–323م)، وجاء ذكر تلك المنطقة ضمن وصف الطريق المار بشمال سيناء، خاصّةً مدن رفح ورينوكورورا في الطرف الشماليّ الشرقيّ من سيناء[21]. وقد ذكرَ المؤرّخ العسكريّ أميانوس ماركلّينوس Ammianus Marcellinus –في النصف الثاني من القرن الرابع الميلاديّ– أنها تقع في إقليم أوغسطامنيكا المصري[22]، كما أكّد المؤرّخ يوحنا مالالاس John Malalas الأمر نفسَه خلال القرن السادس الميلادي[23]، وخلال القرن الرابع الميلادي أصبح لرينوكورورا أسقفيّة خاصّة بها[24]. وعلى الرغّم من حديث المصادر التاريخيّة عن

53-54; Mayerson, Ph., "Urbanization in *Palaestina Tertia*", p. 19; Caner, D. F., *History and Hagiography from the Late Antique Sinai*, **Translated Texts for Historians** 53, Liverpool University Press, 2010, pp. 4-5.

استُحدث إقليم "أوغسطامنيكا" Augustamnica عام 341م ليحلّ محلّ إقليم مصر الهرقليّة Aegyptus Herculia، ويشتمل على مناطق شرق الدلتا ومنف Memphis وأرسينوي Arsinoites (الفيوم) وأوكسرينخوس Oxyrhynchus (البهنسا) وهراقليوبوليس Heracleopolis (إهناسيا)، ثمّ اقتُطع عام 386م كلّ من أرسينوي وأوكسرينخوس وهراقليوبوليس من أوغسطامنيكا، وأُطلق عليه إقليم أركاديا Arcadia، واقتصر إقليم أوغسطامنيكا على منطقة شرق الدلتا والجزء الشماليّ من سيناء. للمزيد انظر:

Rouillard, G., *L' Administration civile de l 'Égypte byzantine*, 2e edition, Paris, 1928, pp. 2-3; Lallemand, *L'administration civile*, p. 56.

(18) Baron, A. G., "Adaptive Strategies in the Archaeology of the Negev", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 242 (Spring, 1981), pp. 52-53.

انظر الخريطة (1).

(19) Strabo, *The Geography*, 8 vols. trans. H. E. Jones, London and New York, 1930, vol. 7, 16.22.31, pp. 278-279.

(20) *Das Itinerarium Antonini*, In *Itineraria Romana*, *Romische reisewege an Der Hand Der Tabula Peutingeriana*, ed. K. Miller, Stuttgart, 1916, pp. 58, 813; Verreth, H., *The Northern Sinai from the 7th Century BC till the 7th Century AD*, *A Guide to the Sources*, 2 vols. Leuven, 2006, vol. 1, p. 61.

(21) P.Ryl.= *Catalogue of the Greek and Latin Papyri in the John Rylands Library*. vol. 4: *Documents of the Ptolemaic*, *Roman and Byzantine Periods*, ed. C.H. Roberts and E.G. Turner, Manchester, 1952, nos. 627.235-237; 638.21-22, pp. 120, 149. See also: Verreth, *The Northern Sinai*, vol. 1, pp. 62-63.

(22) Ammianus Marcellinus, *Res Gestae*, trans. J. Rolfe, 3 vols. **Loeb Classical Library** 314-316, London, (1935-2000), vol. 2, pp. 296-297.

(23) John Malalas, *The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys and R. Scott, **Byzantina Australiensia** 4, Melbourne, 1986, p. 5.

(24) تم تدشين الكثير من الكنائس في سيناء خلال القرن الرابع الميلادي، وكان ميلاس أول أسقف لكنيسة رينوكورورا، الذي تم

رينوكورورا خلال الفترة من القرن الرابع الميلاديّ حتى القرن السادس الميلاديّ فإنّ الكثير من الرّحالة والمسافرين الذين مرّوا بها لم يشيروا إليها، على الرّغم من أنّها إحدى النقاط المهمّة على خطّ السّفر بين فلسطين ومصر؛ رّبما لأنها لم تكن ذات صلة بما جرى من أحداث في الكتاب المقدّس خلال رحلة بني إسرائيل في الصّحراء الواقعة بين سيناء وفلسطين، التي ركّز عليها الرّحالة في كتاباتهم[25].

ننتقل الآن إلى عمق الصّحراء حيثُ مدينة إلوسا (الخلصة)، التي تعدُّ من أهمّ المدن الموجودة في صحراء النقب، وكانت عاصمةً metropolis لولاية فلسطين الثالثة في بداية القرن الخامس الميلاديّ، ولكن لم يستمرّ الأمر طويلًا؛ فقد انتقل مركز القيادة إلى البترا Petra مرّة أُخرى، وأصبحت إلوسا مركزًا عسكريًّا kastron مهمًّا على الحدود المصريّة الفلسطينيّة حتى الفتح العربيّ الإسلاميّ لتلك المنطقة في القرن السابع الميلاديّ[26]. وقد أتى ذكر المدينة للمرّة الأُولى في سيرة الرّاهب الفلسطينيّ هيلاريون التي كتبها القديس جيروم Jerome ربّما قبل عام 390م، الذي ذكر أنّ معظم سكانها في نهاية القرن الرابع الميلاديّ كانوا من العرب الوثنيين[27]، ووصفها الرّحالة ثيودوسيوس Theodosius عام 530م بأنها تبعد عن مدينة القدس ثلاث مراحل[28]؛ أي قُرابة 105 كيلو مترًا[29]، كما وصفها كلٌّ من أنطونينوس Antoninus الإيطالي وحاج بياتشنزا Piacenza بأنها مدينة في قلب الصّحراء، وعلى بعد عشرين ميلًا (30 كم) منها توجد إحدى القلاع (معسكر إلوسا)؛ حيث يوجد فيها مضيفة باسم القديس جورج St. George، ومن هناك يمكن دخول الصّحراء؛ حيث يمكن مشاهدة العرب الذين يستخدمون الإبل في أسفارهم[30].

تبع إلوسا مجموعة من القرى والمعسكرات الحربيّة في صحراء النقب، كمعسكر نيسانا (العوجة)[31]، الذي يُعَدُّ من النقاط العسكريّة المهمّة في تلك الصحراء خلال العصر البيزنطيّ؛ إذ ترجع أول إشارة إلى موضع بلدة نيسانا إلى

تنصيبه من جانب أثناسيوس بطريرك الإسكندرية عام 339م، وخلفه أخيه سليمان في إدارة الأسقفية. انظر:

Athanasius bishop of Alexanderia, *Letters*, In A. Robertson (ed.), *Select Works and Letters*, **Nicene and Post Nicene Fathers** 4, New York, 1892, XII.2, p. 539; Sozomen, *The Ecclesiastical History*, trans. Ch. D. Hartranft, **Nicene and Post Nicene Fathers** 2, New York, 1890, VI.31, p. 369.

(25) محمد زايد عبد الله، "سيناء مقصدًا للهاربين والحجاج خلال العصر البيزنطي (284–639م)"، **مجلة المؤرخ المصري**، عدد 42، الجزء الأول (يناير 2013م)، ص204–208.

(26) Dan, Y., "Palaestina Salutaris (Tertia) and its Capital", ***Israel Exploration Journal*** 3/2-3 (1982), p. 136.

(27) Jerome, *The Life of S. Hilarion*, trans. W. H. Fremantle, **Nicene and Post Nicene Fathers** 6 (*The Principal Works of St. Jerome*), New York, 1892, p. 309. See also: Mayerson, "The City of Elusa", p. 247.

(28) Theodosius, *On the Topography of the Holy Land*, trans. J. Bernard, **Palestine Pilgrims' Text Society** 2/2, London, 1893, p. 17.

(29) Aharoni, A., "The Roman Road to Aila (Elath)", ***Israel Exploration Journal*** 4/1 (1954), p. 15.

(30) Antoninus martyr, *Of the Holy Places visited by Antonius martyr*, trans. J. Stewart, **Palestine Pilgrims' Text Society** 2/4, London, 1887, p. 28; Piacenza Pilgrim, *Travelogue* (*Itinerarium*) 33-42: *Jerusalem to Mount Sinai and Clysma* (551-570), In D. F. Caner, *History and Hagiography from the Late Antique Sinai*, **Translated Texts for Historians** 53, Liverpool University Press, 2010, pp. 254-255.

انظر الشكل رقم (5).

(31) Mayerson, Ph, "The Desert of Southern Palestine According to Byzantine Sources", ***Proceedings of the American Philosophical Society*** 107/2 (Apr. 15, 1963), p. 164.

انظر الخريطة رقم (1)، والشكلين رقم (3)، (4).

القرن الأول الميلاديّ، وهو ما أورده كلٌّ من الإيطاليّين أنطونينوس وحاج بياتشنزا، عندما سمعا من العرب الساكنين في تلك المنطقة لدى عبورهما الطريق المارّ بصحراء التيه بين مصر وفلسطين ربّما عام 570م، أنّ هؤلاء العرب سكنوا ذلك المكان في قلب الصّحراء على بُعد عشرين ميلاً رومانيًّا (30 كم) من مدينة إلوسا منذ عصر الإمبراطور تراجان نهاية القرن الأول الميلاديّ[32]، ثمّ ظهرت تلك البلدة خلال القرن الرابع الميلاديّ كإحدى المعسكرات الحربيّة المهمّة الواقعة على طريق التجارة بين فلسطين وشبه جزيرة سيناء[33]، وجرى ذكرُ اسم البلدة من خلال النقوش التي ترجع إلى عصر الإمبراطور جستنيان الأول Justinianus I (527–565م)[34].

ب– نشأة وحدة المُوالين لثيودوسيوس:

نشأت الحامية العسكريّة في رينوكورورا (العريش) منذ العصر الروماني خلال القرن الثاني الميلاديّ؛ إذ ظلّت هذه المدينة مسؤولة عن حماية الجزء الشماليّ الشرقيّ من ولاية مصر، واستمرّ الأمر خلال العصر البيزنطي؛ إذ مثَّلت رينوكورورا مركزًا دفاعيًّا شرق إقليم أوغسطامنيكا[35]، حتى سقطت المدينة في يد العرب المسلمين في شهر ذي الحِجّة 18هـ/ ديسمبر 639م، ومنذ تلك اللحظة حملت المدينة اسم "العريش"[36]. وظلّت المصادر صامتة من القرن الثاني الميلاديّ حتى القرن السادس الميلاديّ، لتظهر رينوكورورا مرّة أُخرى من خلال إحدى البرديّات التي ذكرت اثنين من جنود "**وحدة المُوالين لثيودوسيوس**"ἀριθμοῦ τῶν καθοσιωμένων Θεοδοσιακῶν، التي تمركزت في بلدة نيسانا[37]، ولكن اختلف الباحثون حول البداية الحقيقيّة لتلك الوحدة، ونسبتها إلى الإمبراطور ثيودوسيوس، وظهر التساؤل: هل المقصود هنا الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (379–395م) أم الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (408–450م)؟

انقسم الباحثون بخصوص نشأة وحدة المُوالين لثيودوسيوس إلى فريقين، وكان الأمريكيّ فيليب مايرسون على رأس الفريق الأول، الذي يرى أنّ وحدة المُوالين لثيودوسيوس قد أُنشئت في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول؛ أي قبل عام 395م؛ نظرًا إلى ما أجراهُ ذلك الإمبراطور من تغييرات إداريّة في شتّى أنحاء الإمبراطوريّة، خاصّةً اقتطاعه جزءًا

(32) Antoninus martyr, *Of the Holy Places*, p. 28; Piacenza Pilgrim, *Travelogue* (*Itinerarium*) 33-42, pp. 254-255.

(33) Rosen, S. A., "Demographic Trends in the Negev Highlands: Preliminary Results from the Emergency Survey", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 266 (May, 1987), p. 54; Stroumsa, "People and Identities in Nessana", p. 2.

(34) Mango, M. M., "Nessana", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, p. 1458.

(35) Verreth, *The Northern Sinai*, vol. 1, p. 256.

(36) عن فتح العريش على يد عمرو بن العاص، انظر: ابن عبد الحكم (عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم ت 257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبدالمنعم عامر، الهيئة العامّة لقصور الثقافة، القاهرة، 1961م، ص81–87؛ الواقدي (ت 270هـ/ 823م)، كتاب فتوح مصر والشام، ج 2، القاهرة، 1903م، ص20،23؛ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، ت 284هـ/ 897م)، تاريخ اليعقوبي، ليدن، 1883م، جـ 2، ص168–169؛ الطبري (ابن جرير، ت 310هـ/923م)، تاريخ الطبري – *تاريخ* الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1960م، جـ 4، ص108؛ الكندي (محمد بن يوسف الكندي 350هـ/961م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تصحيح/ رفن جست، بيروت، 1908م، ص8.

(37) *P.Ness*. III. 15.

من ولاية العربيّة وتسميتها ولاية فلسطين سالوتاريس، وأنّ ذلك كان متزامنًا معَ إنشاء وحدة عسكريّة تمركزت في نيسانا حملت اسم الإمبراطور، وأصبحت خطَّ الدفاع البيزنطيّ غرب وادي عربة وسط صحراء النقب[38]، وقد سار على نهج مايرسون في هذا الاتجاه الباحثة راشيل سترامسا[39].

أمّا الرأي الآخرُ القائل بأنّ الوحدة نشأت خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (408–450م) فيرجّحه كاسبر كرايمر، الذي يرى أنّ نشأة معسكر نيسانا كان متزامنًا معَ نشأة وحدة المُوالين لثيودوسيوس خلال الفترة (421–442م)، وهي الفترة التي حكم فيها الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني؛ حيث حُصّنت تلك المنطقة، ونُقلت إليها قوّة عسكريّة متمركزة لمراقبة القبائل العربيّة على الحدود الصّحراويّة، ومنع القبائل العربيّة –حليفة الفرس– من شنّ هجماتها المتكرّرة على الحدود السوريّة والفلسطينيّة، خاصّةً بعد هزيمة الفرس على يد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني مرّتين متتاليتين عامي 421م و442م[40]. كما أكّد الأمرَ نفسَه الباحثُ والتر فارد W.D. Ward بقوله: "ولأنّ المُوالين لثيودوسيوس في نيسانا لم يظهروا في سجلّ التكريمات Notitia Dignitatum؛ فإنّ تلك الوحدة يبدو أنها لم تتشكّل في عهد ثيودوسيوس الأول"[41].

لنترك الباحثين قليلاً، ونذهب إلى المصادر التي عاصرت تلك الفترة، ففي إحدى قوانين الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني المؤرّخة في الثاني عشر من سبتمبر عام 443م يتحدّث الإمبراطور عمّا يجب التزام به من جانب القادة العسكريين البيزنطيين على الحدود الإمبراطوريّة، وقد اختصّ ثيودوسيوس الثاني العرب –حلفاء الإمبراطوريّة البيزنطيّة– بالذكر في القانون المُشار إليه على أنهم كقوّات عسكريّة تخدم على الحدود الشرقيّة مُعفَونَ من الضرائب على الأراضي التي مُنحوا إيّاها مقابلَ خدماتهم العسكريّة التي يقدّمونها للدولة البيزنطيّة[42]، وربّما يكون هذا التاريخ هو الأقرب لنشأة وحدة المُوالين لثيودوسيوس على الحدود المصريّة الفلسطينيّة، حينما قرّر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني الاعتماد على تلك الكتائب العربيّة ليُلحقها بالجيش البيزنطيّ لحماية الحدود المصريّة الفلسطينيّة، وهو ما ظهر في كتاب سجلّ التكريمات خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلاديّ عندما ورد ذكر "وحدة الهجّانة الثموديّة من العرب قُدامى المُحاربين ساكني الخيام"Equites Saraceni Thamudeni Scenas Ueteranorum، التي تمركزت على طول الجزء الشماليّ من سيناء حتى حدود العريش، وكانت تلك الوحدة تتبع الفرقة المرابطة عند رأس

(38) Mayerson, "'Palaestina' vs. 'Arabia'", p. 229.
(39) Stroumsa, "People and Identities in Nessana", p. 2.
(40) Kraemer, *Excavations at Nissana*, vol. 3, p. 16.

انظر الشكل (1). وعن علاقة الدولة البيزنطيّة بالفرس على عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، انظر:

Socrates Scholasticus, *The Ecclesiastical History of Socrates Scholasticus from A.D. 305-439*, trans. A. C. Zenos, **Nicene and Post Nicene Fathers** 2, New York, 1890, pp. 161-164; Procopius of Caesarea, *History of the Wars*, vol. 1, pp. 11-13.

(41) Ward, "The Province Recently Called Palestine Salutaris'", p. 296.

كان كتاب سجل التكريمات من أهمّ الكتابات السياسيّة والإداريّة التي ظهرت في الدولة البيزنطيّة خلال عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، وهو قائمة رسميّة لكلّ الوظائف المدنيّة والعسكرية لكلّ الولايات الرومانيّة في عصرها المتأخّر، وكان الغرض من تلك القائمة ترتيب الوظائف والمسؤولين حَسَبَ أسبقيتهم الوظيفيّة. انظر:

Kažhdan, A., "Notitia Dignitatum", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 3, p. 1496.

(42) *The Novels of the sainted Theodosius Augustus*, In *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, **Corpus Juris Romanorum** 1, Greenwood Press: New York, 1951, pp. 511-512.

الدلتا المصريّة في بابليون Babylon[43]، وكان جنود تلك الوحدة من العرب البدو غير المستقرّين. ويرى عرفان شهيد أنّ غالبيّة عناصر تلك الوحدة كانت من قبيلتي تنوخ وسليح، اللتين تحالفتا معَ البيزنطيين خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين[44]، وقد انضمّ جزء من تلك الوحدة إلى "فصيلة قُدامى المُحاربين الغاليين" ala ueterana Gallorum المُكوّنة من قوّات الإمداد Auxilia المنتقلة من بلاد الغال (فرنسا حاليًا) إلى رينوكورورا (العريش)[45].

ومن الأسباب الأُخرى لنشأة تلك الوحدة في تلك المنطقة شمال النقب رغبة الإدارة البيزنطيّة في الاعتماد على تلك الحامية العسكريّة المتمركزة في بلدة نيسانا لحماية مدينة إلوسا التي أصبحت عاصمةً لولاية فلسطين الثالثة معَ بداية القرن الخامس الميلاديّ[46]، كذلك التعاون معَ بقيّة الوحدات العسكريّة القريبة في ولايتي فلسطين الأولى والثالثة وإقليم أوغسطامنيكا المصريّ؛ إذ انتقل بعض الجنود في وحدة المُوالين لثيودوسيوس من نيسانا في ولاية فلسطين الثالثة إلى رينوكورورا (العريش) في إقليم أوغسطامنيكا المصريّ[47].

ولنعد مرّة أخرى إلى اسم الوحدة "**وحدة المُوالين لثيودوسيوس**" ἀριθμοῦ τῶν καθοσιωμένων Θεοδοσιακῶν؛ إذ ذكر طارق منصور نقلاً عن باجنال بيوري J.B.Bury وإيان هيث I. Heath أنّ الأريثموس Arithmos كانت فرقةً للحراسة ظهرت في القسطنطينيّة خلال النصف الثاني من القرن السادس الميلاديّ، ربّما عام 559م، وأنها حملت الاسمَ القديم أريثموس، ويعني تكتيكيّ، وربّما أُعيد تنظيمها في وقتٍ لاحق من تاريخ الدولة البيزنطيّة خلال القرن الثامن الميلاديّ، وإنْ عاد طارق منصور وذكر أنّه ليس لرأيه هذا سندٌ تاريخي[48].

يمكن القول إنّ تلك الوحدة قد ظهرت في النصف الأول من القرن الخامس الميلاديّ، لكنها لم تأخذ الشكل الرسميّ للمصطلح أريثموس –ومعناه التكتيكيّ– إلّا في مصادر القرن السادس الميلاديّ، وهو ما ظهر في برديات نيسانا عام 512م[49]، كما أنّ اسم تكتيكي ربّما يفسّر سبب انتقال جزء من الوحدة من بلدة نيسانا إلى مدينة العريش، الذي كان يعتمد على التحرّك من منطقة إلى أُخرى حَسَبَ مقتضى الحاجة. ويؤكّد القول السابق ما جاء لدى كلّ من باجنال بيوري ولويز بريه L. Bréhier، اللذين ذكرا أنّ فرقة الأريثموس كانت مرتبطة بالقمامسة الأركاديين Arcadiaci comites الذين أسّسهم أركاديوس الأول Arcadius I (395–408م)، وكانوا يعملون في خدمة القصر الإمبراطوريّ، ثمّ تطوّرت تلك الفرقة في ما بعدُ لتأخذ اسمَها المزدوج أريثموس Arithmos أو فيجلا Vigla[50].

---

(43) *Notitia Dignitatum*, Or. XXVIII.15-17, 28, p. 59.

انظر الشكل (2).

(44) عرفان شهيد، روما والعرب، ترجمة قاسم محمد سويدان، دمشق، 2008م، ص82، 84–85.

(45) *Notitia Dignitatum*, Or. XXVIII.15-17, 28, p. 59. See also: Graf, D. F., "The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 229 (Feb., 1978), p. 18.

(46) Negev, A., "The Architecture of Oboda: final report", ***Qedem*** 36 (1997), p. 105.

(47) *P.Ness*. III. 15.

(48) Bury, J. B., *The Imperial Administrative System in the Ninth Century with a Revised Text of The Kletorologion of Philotheos*, Oxford University Press, London, 1911, p. 60; Heath, I., *Byzantine Armies 886-1118*, London, 1986, p. 13.

طارق منصور محمد، "الجيش في الإمبراطوريّة البيزنطيّة من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلاديّ"، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب ببنها، جامعة الزقازيق، 1993م، ص295–296.

(49) *P.Ness*. III. 15.

(50) Bury, *The Imperial Administrative System*, p. 61; Bréhier, L., *Les institutions de l'empire byzantin*, Paris, 1949, p. 354.

ولفظة أريثموس تساوي الموريا moira، أو الباندا banda، أو النوميروس numerus، وجميعها جزء من التاجما Tagma (فرقة الحراسة الإمبراطوريّة)، كما أنّ الأريثموس تعني عددًا من القوّات تحت علم واحد banda، ثمّ أصبح لفظ باندا منسحبًا على منْ يخدم في تلك الوحدة تحت العلم نفسه(51)، فأصبحت الأريثموس ثمّ الباندا في المصادر البيزنطيّة من القرن الخامس حتى القرن العاشر الميلاديّ تساوي حديثًا الكتيبة أو الوحدة التي لا يقلّ عدد الجنود فيها عن مائتي رجل(52).

ت- النُّظم العسكريّة في كتيبة المُوالين لثيودوسيوس:

سلكت الدولة البيزنطيّة، حتى القرن السابع الميلاديّ، ثلاث طرائق للحصول على المجندين، هيَ: التطوّع من خلال المغامرين الأجانب أو الرّومان أنفسهم، والتجنيد الإجباريّ الذي آل إليه الأمر في نهاية القرن السادس الميلاديّ، والاعتماد على المرتزقة من البرابرة الأجانب الذين يؤدّون خدماتهم للإمبراطوريّة مقابل عوائدَ ماديّةٍ يحصلون عليها أو درجات اجتماعيّة يرتقون إليها، وقد اندرج هؤلاء المرتزقة في الجيش البيزنطيّ في وحدات عسكريّة مختلفة تحت أسماء عدّة(53). ومن بين تلك **الوحدات العسكريّة** البيزنطيّة في الولايات الشرقيّة قوّات حرس الحدود "**الليميتانيّ**" limitanei(54)، التي تمركز بعضُها على الحدود المصريّة الفلسطينيّة منذ العصر الرومانيّ، وظلّت تلك الوحدات موجودة خلال العصر البيزنطيّ وكانت تتكوّن من المرتزقة العرب، الذين كانت مَهَمّتهم الدفاع عن الحدود البيزنطيّة على نحوٍ دائم مقابل حصولهم على مِنح من الأراضي الزراعيّة والرعويّة مُعفاة من الضرائب(55)،وراتب سنويّ بناءً على قوانين ثيودوسيوس الثاني التي صدرت خلال الفترة (409-424م)(56)، وكانت تلك الرواتب من العملة الذهبيّة النوميزماتا nomismata، إضافةً إلى المحصولات الحوليّة وجزء من الغنيمة(57). وقد ألغى الإمبراطور جستنيان المنحة التي كانت تُفرض للجند مرّة واحدة كلَّ خمس سنوات، بواقع خمسة صوليدات Solidi (نوميزمات) لكلّ جندي(58).

(51) *Maurice's Strategikon*, *Handbook of Byzantine Military Strategy*, trans. G.T. Dennis, University of Pennsylvania Press, 1984, p. 15, note. 9.

(52) طارق منصور، "الجيش"، ص177، حاشية 7.

(53) طارق منصور، "الجيش"، ص22-23.

(54) كانت كلمة Limitanei تعني القوات المرابطة على الحدود، وهي مُشتقة من كلمة Limes أو Limites التي اختلف معناها خلال العصرين الرومانيّ والبيزنطيّ، ففي العصر الرومانيّ كانت كلمة Limes تعني الطريق العسكريّ أو الطريق العام أو الحدّ البريّ أو البحريّ، ومنذ القرن الرابع الميلاديّ أصبحت الكلمة تعني المنطقة الحدوديّة، ووردت في بعض المصادر اليونانيّة باسم εσχατια، وتعني "الأراضي البعيدة"، أو "الحدود الخارجيّة". للمزيد، انظر: طارق منصور، "الجيش"، ص43 حاشية (2). وانظر أيضًا:

Isaac, "The Meaning of the Terms Limes and Limitanei", pp. 126-136, 139-141.

(55) Bréhier, *Les institutions*, p. 338; Ensslin, W., "The Emperor and Imperial Administration", In N.H. Baynes and H.St.L.B. Moss (eds.), *Byzantium*, *An Introduction to Eastern Roman Civilization*, The Clarendon Press: Oxford, 1948, p. 295.

بينز (نورمان)، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة الدكتور حسين مؤنس، ومحمود يوسف زايد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م، ص169؛ طارق منصور، "الجيش"، ص43.

(56) *The Theodosian Code*, pp. 162-164.

(57) Bréhier, *Les institutions*, p. 346. طارق منصور، "الجيش"، ص63.

(58) Prokopios, *The Secret History with related texts*, trans. A. Kaldellis, Cambridge, 2010, pp. 108-109.

لقد أصبحت الفرق العربيّة على الحدود تُشكّل جيشًا ثانيًا مستقرًّا على أطراف الإمبراطوريّة[59]، وآلت تبعيّة تلك الوحدات العسكريّة على حدود مصر وفلسطين إلى دوق فلسطين ducis Palaestinae، الذي كان يمثّل القائد العسكري العامّ لكلّ الولايات الفلسطينيّة[60]. وكانت قبيلة ضجعم السليحيّة من بين القبائل العربيّة التي استعانت بها الدولة البيزنطيّة خلال القرن الخامس الميلاديّ كحراس للحدود[61]، كما استعانت بوحدة الفرسان الثموديين التي تمركزت على الساحل الشماليّ لسيناء، وآلت تبعيّتها إلى الفرقة العسكريّة البيزنطيّة شرق الدلتا، إلى جانب استعانة الحكومة البيزنطيّة بفصيلة الإمداد الغالِيّة من قُدامى المُحاربين للدفاع عن مدينة العريش[62].

لم تمنع تلك الإجراءات السابقة، التي اتخذتها الدولة البيزنطيّة، بعض القبائل العربية الأُخرى من الوصول إلى الحدود المصريّة الفلسطينيّة، والتغلغل داخل سيناء وفلسطين[63]، فزاد عزم الإدارة البيزنطيّة على زيادة المراكز الدفاعيّة على حدودها الجنوبيّة والشرقيّة، وعمل خطّ دفاع ثانٍ إلى الغرب من صحراء النقب، فنقلت مركز القيادة في ولاية فلسطين الثالثة –معَ مطلع القرن الخامس الميلاديّ– من البترا إلى إلوسا (الخلصة)، وحاولت أن تستميل بعضًا من العرب الأنباط[64]، ووفرت لهم المؤن والطعام ودواب الحمل كالإبل والحمير[65]. وعلى ذلك كانت قوّات الأريثموس، التي تكوّنت منها كتيبة المُوالين لثيودوسيوس، تتكوّن من الفرسان[66]، وذلك اعتمادًا على ما جاء عند الجغرافيّ العربيّ قُدامة بن جعفر خلال القرن التاسع الميلاديّ[67]، وهو ما تعضده برديّات القرن السادس الميلاديّ؛ لأنّ القوّات في منطقة النقب اعتمدت على نحوٍ أساسيّ على الفرسان العرب، سواء أمِنْ راكبي الإبل كانوا أم الجياد، فظهر الكثير من أسماء الجنود والفرسان من أصلٍ عربيّ نبطيّ، الذين خدموا في المعسكرات الحربيّة البيزنطيّة على الحدود المصريّة الفلسطينيّة كبلدة نيسانا (العوجة) ومدينتي رينوكرورا وإلوسا؛ حيث تلقّى هؤلاء الجنود والضبّاط رواتبَهم ومخصّصاتِهم من الإدارة البيزنطيّة، سواء أأموالاً نقديّة كانت تلك المخصّصات أم حيوانات للحمل والحرب،

---

(59) طارق منصور، "الجيش"، ص43.

(60) *The Theodosian Code*, pp. 162-164; *Notitia Dignitatum*, Or.XXXIV.30, p. 73.

(61) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 1، ص233–235؛ وانظر أيضًا: بيغوليفسكيا (نينا فكتورفينا)، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع الميلاديّ إلى القرن السادس الميلاديّ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983م، ص217؛ محمد زايد عبدالله، "العرب الإسكيناي ساكنو الخيام في ولاية فلسطين الثالثة خلال العصر البيزنطيّ"، **مجلّة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة** – جامعة قناة السويس، العدد السابع (ديسمبر 2012م)، ص138.

Shahid, I., "The Last Days of Salīḥ", ***Arabica*** 5/2 (May, 1958), p. 145.

(62) *Notitia Dignitatum*, Or. XXVIII.15-17, 28, p. 59. See also: Graf, "The Saracens", p. 18.

(63) Mayerson, Ph., "The Saracens and the Limes", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 262 (May, 1986), pp. 36-37.

(64) Graf, "The Saracens", pp. 4, 17; Kuelzer, A., "Byzantine and early post-Byzantine pilgrimage to the Holy Land and to Mount Sinai", In R. Macrides (ed.), *Travel in the Byzantine world*, **Papers from the Thirty-fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Birmingham**, April 2000, Ashgate-Variorum, 2002, p. 158.

(65) *Notitia Dignitatum*, Or.XXVIII.17, p. 59; *P.Ness*. III. 35, 37.

(66) Heath, *Byzantine Armies*, p. 10. طارق منصور، "الجيش"، ص296.

(67) قُدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، منشور ضمن كتاب: المسالك والممالك لابن خُرْداذْبَه، نشر وتحقيق دي جويه، ليدن، 1889م، ص256.

خاصّةً الإبل[68].

كان الفرسان في وحدة المُوالين لثيودوسيوس من العرب المتنصرين[69]، كما ظهرت إلى جانب هؤلاء العرب أسماء مصريّة قبطيّة خدمت في كتيبة المُوالين لثيودوسيوس ومركزها معسكر نيسانا[70]. وقد انتقل جزءٌ من تلك الكتيبة إلى رينوكورورا (العريش) معَ بداية القرن السادس الميلاديّ؛ حيث تظهر في رينوكورورا أسماء جنود عرب من أصلٍ نبطيّ، أمثال أوس بن إبراهيم[71]، كما انتقل جزءٌ آخرُ إلى مدينة إلوسا التي تبعتها بلدة نيسانا[72]، وعلى الرّغم من أنّ كلّاً من الوحدات العسكريّة السابقة كانت متمركزة في ولايتين مختلفتين، فإلوسا ونيسانا كانتا تابعتين لولاية فلسطين الثالثة، بينما تبعت رينوكورورا (العريش) ولاية مصر، فإننا نجد سهولةً في نقل الجنود من نيسانا إلى كلٍّ من إلوسا ورينوكورورا، وهذا دليل على التعاون العسكريّ ما بين الولايات البيزنطيّة آنذاك لمواجهة خطر القبائل العربيّة المُهدّدة لجبهة سيناء وفلسطين[73].

جرى تجنيد الجنود بانتظام في تلك الفرق الحدوديّة، فأصبح على كلّ مجنّد إثبات اسمه في سجلّ الوحدة بناءً على ما يحمله من أمر من قِبل الدوق القابع على حدود كلّ ولاية[74]، على أن يُخصّص الجنود جانبًا من وقتهم لممارسة التدريبات العسكريّة، وقد أمر الإمبراطور جستنيان بأن يتجمّع هؤلاء الجنود في معسكراتهم ويخضعوا للتدريبات العسكريّة المتكرّرة[75]، وأكّد الإمبراطور موريس Maurice (582–602م) الأمرَ نفسَه في كتابه العسكريّ "فنّ قيادة الجيوش"[76].

لم تُشر المصادر البيزنطيّة التي عاصرت تلك الفترة (من القرن الرابع حتى منتصف القرن السابع الميلاديّ) إلى أيّة أخبار عن **أعداد الجنود** في الحاميات البيزنطيّة على الحدود المصريّة الفلسطينيّة؛ ممّا كان له أكبر الأثر في ظهور عدد من الافتراضات من قِبل الباحثين المحدثين، فها هو أبراهام نيجيف قد افترض أنّ عدد الفرسان في معسكر نيسانا كان يُمثّل نحوَ ثُلث عدد الذكور في البلدة[77]، التي بلغ عدد سكانها –في دراسة لماجين بروشي– قُرابة أربعة آلاف[78]، فيكون عدد الذكور بها ألفين أو يزيد، وتكون الحامية بها نحوَ سبعمائة فارس[79]. ولمّا كان الجنود يمثّلون نسبةً بسيطةً من عدد الذكور في مدينة إلوسا التابع لها بلدة نيسانا[80]؛ فقد اعتُمِدَ على الحامية العسكريّة القريبة منها في بلدة نيسانا، التي دفعت بها الإدارة الإمبراطوريّة لحماية عاصمة ولاية فلسطين الثالثة[81]،

(68) *P.Ness*. III. 26, 35, 37.
(69) *P.Ness*. III. 16, 18-25, 27, 37.
(70) *P.Ness*. III. 15, 19, 37.
(71) *P.Ness*. III. 15.
(72) *P.Ness*. III. 29.
(73) Verreth, *Northern Sinai*, pp. 299-300.
(74) بينز، الإمبراطوريّة البيزنطيّة، ص169.
(75) Bréhier, *Les institutions*, p. 338. طارق منصور، "الجيش"، ص44–45.
(76) *Maurice's Strategikon*, p. 140.
(77) Negev, "The Architecture of Oboda", p. 105.
(78) Broshi, M., "The Population of Western Palestine in the Roman-Byzantine Period", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 236 (Autumn, 1979), p. 3.
(79) Negev, "The Architecture of Oboda", p. 105.
(80) Broshi, "The Population of Western Palestine", p. 3.
(81) Negev, "The Architecture of Oboda", p. 105.

وعلى ذلك تقلّص عدد الفرسان في نيسانا إلى الثلث، فأصبح عددهم لا يتجاوز مائتي فارس من راكبي الإبل[82]، وهو الرأي الذي أكّده كاسبر كرايمر في مقدّمة البرديتين 35 و37 من أرشيف نيسانا من خلال قوله إنّ وحدة الأريثموس في نيسانا تكوّنت من عشرين سريّة، كلّ منها تكوّنت من عشرة رجال، فيكون عدد الجنود في الوحدة مائتين، وهم محتاجون إلى مائتي جمل على الأقل[83].

على الرّغم من تبعيّة كلّ من مدينتي إلوسا ورينوكورورا وبلدة نيسانا لولايتين بيزنطيتين، فإنّ **الإدارة العسكريّة** في منطقة الحدود المصريّة الفلسطينيّة ظلّت موحدة بلا انقسام؛ إذ ظلّت قيادة الجيوش والحاميات العسكريّة على الحدود في أيدي "دوق فلسطين" dux Palaestinae، الذي يمثّل القائد العسكريّ العامّ لكلّ الولايات الفلسطينيّة[84]، ويظهر لنا خلال تلك الفترة مجموعة من الأسماء، كان أوّلُها الدوق رومانوس Romanus، الذي استطاع القيام بحملة ناجحة ضدّ قبيلة كِندة العربيّة عام 498م[85]، ثمّ ديوميديس Diomedes الذي دخل في صراع معَ القبيلة نفسها في ولاية فلسطين الثالثة بعد عام 503م[86]. ومن الوظائف العسكريّة في كتيبة المُوالين لثيودوسيوس ما جاء في أوراق بردي نيسانا عن وظيفة الدومستق domesticus، وهو نائب الدوق أو قائد الوحدة العسكريّة على الحدود المصريّة الفلسطينيّة، وقد ظهر في البرديّة رقم 26 من بردي نيسانا اسم إبراهيم "الدومستق السابق" ἀπὸ δομεστικῶν؛ أي قائد معسكر نيسانا[87]، وهو ما يؤكّده بيوري عندما يشير إلى أنّ قائد الأريثموس ينبغي أن يحمل رتبة دومستق كنظرائه من قادة فرق الفرسان[88]، على الرّغم من أنّ بعض المصادر العسكريّة والتاريخيّة خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ذكرت أنّ وحدة الأريثموس يقودها درونجاريوس drongarius وليس دومستق[89]. بينما تشير قائمة فيلوثيوس –في القرن التاسع الميلاديّ– إلى أنّ درونجاريوس الأريثموس يأتي ضمن طبقة الدومستقات في المرتبة السادسة والثلاثين بين موظفي الدولة البيزنطيّة[90]، وَحَسَبَ قول طارق منصور فإنّ وصف قائد الأريثموس مرّة بالدرونجاريوس ومرّة بالدومستق ربّما يوحي بأنه حمل اللقبين حَسَبَ مراسم معينة، وأنه كان يُشار إليه بلقب

(82) Caner, *History and Hagiography*, p. 11.
(83) *P.Ness*. III. 35, 37.
(84) *Notitia Dignitatum*, Or.XXXIV.30, p. 73. See also Casson, L., "The administration of Byzantine and early Arab Palestine", ***Aegyptus*** 32/1 (1952), p. 55.
(85) Theophanes, *The Chronicle of Theophanes Confessor*: *Byzantium and Near Eastern History*, *284-813 A.D.*, trans. C. Mango and R. Scott, Oxford, 1997, p. 99.
(86) Malalas, *The Chronicle*, p. 252; Theophanes, *The Chronicle*, p. 271.
(87) *P. Ness*. III. 26.
(88) Bury, *The Imperial Administrative System*, p. 60.
(89) *Le taktikon du cod. Hierosol. Gr. 39, dit taktikon Uspenskij*, In Oikonomides, N. (ed.), *Les listes de preseance byzantines des IXe et Xe siècles*, Paris, 1972, pp. 50-51; Theophanes, *The Chronicle*, pp. 640, 673; Constantine Prophyrogennetos, *The Book of Ceremonies*, 2 vols. trans. A. Moffatt and M. Tall, Canberra, 2012, vol. 1, pp. 10, 62, 67, 82, 149, 381, 442, 474, 481, 484, 489, 490.

ورد ذكر الدرونجاريوس أو الدرونجير في المصادر العربيّة للمرة الأولى عند ابن خُرداذبه خلال القرن التاسع الميلاديّ، الذي نقل عن مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ويقود الدرونجاريوس كتيبة مؤلّفة من ألف جندي، يتبعه خمسة من القمامسة comes، يقود كلٌّ منهم سريّة (باندا banda) مؤلّفة من مائتي جندي. ابن خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق دي جويه، ليدن، 1889م، ص111؛ قُدامة بن جعفر، نُبذ من كتاب الخراج، ص258–259. وانظر أيضًا: Bury, *Imperial Administrative System*, pp. 41-43.

(90) *Le traité de Philothée*, In Oikonomides, N. (ed.), *Les listes de preseance byzantines des IXe et Xe siècles*, Paris, 1972, pp. 102-105.

دومستق كنوع من التكريم أُضْفِيَ على الدرونجاريوس[91].

حمل قائد وحدة الأريثموس ألقابًا تشريفيّة كبطريق patricus وأنثيباتوس anthypatos، كما حمل لقب بروتوسباثاريوس protospatharius[92]، ولكنه كان أدنى مرتبةً من كثير من القادة العسكريين الآخرين[93]، وكان يليه في الرتبة مُساعد قائد الحامية العسكريّة (أوبتيوبريجكيبوس) ὀπτιοπρίγκιπος في نيسانا، الذي يظهر من خلال إحدى البرديات أنه كان يشرفُ –بدلًا من القائد– على بعض القضايا التي تنشب بين جنود المعسكر والأهالي في البلدة نفسها؛ وكان من بين منْ تولّى ذلك المنصب شخصٌ يُدعى أبا زونين بن سيدان[94]، وشخصٌ آخرُ يُدعى ستيفن[95]، وإلى جانب الوظائف العُليا السابقة وُجدت مجموعة من الوظائف الأدنى كان منها الحارس أو حامل السيف (سباثاريوس) σπαθάριος[96]، والكشاف (دوكيكويس) δουκικοῖς[97]، إلى جانب الغالبيّة العُظمى من جنود المعسكر (ستراتيوتاي) στρατιώτοί[98].

---

(91) طارق منصور، "الجيش"، ص297.

(92) *Le traité de Philothée*, pp. 138-139, 144-145.

كان البطريق ويعني "الشريف" رتبةً أنشأها الإمبراطور قسطنطين الأول، وظلّت أعلى رتبة حتى القرن العاشر الميلاديّ، وكان حاملها من أعلى الرتب العسكريّة في الجيش البيزنطي.

Bury, *Imperial Administrative System*, pp. 73-74; Kažhdan, A., "Patrikios", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 3, p. 1600.

أمّا لقب أنثيباتوس فهو المرادف للكلمة اللاتينيّة "بروقنصل" *proconsul*، وهو حاكم ولاية من الولايات المميّزة، أو واليًا للعاصمة القسطنطينيّة، بعد ذلك أصبح اللقب رتبةً داخل النظام الإداريّ للدولة.

Kažhdan, A., "Anthypatos", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 1, p. 111.

وكان لقب بروتوسباثاريوس يعني "مقدم حملة السيوف"، وهو يجعل صاحبه من طبقة رجال السناتو، ويضمن له وظيفة في الجيش البيزنطيّ، يتلقّى بموجبها راتبًا مقداره رطل ذهبيّ.

Bury, *Imperial Administrative System*, pp. 22, 27; Kažhdan, A. and Culter, A., "Protospatharios", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 3, p. 1748.

(93) طارق منصور، "الجيش"، ص297.

(94) *P. Ness*. III. 19.
(95) *P. Ness*. III. 36.
(96) *P. Ness*. III. 89.

ظهر أول إشارة إلى فئة حاملي السيوف (سباثاريوي) في عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني (408–450م)، التي كانت في البداية تمثل رتبة عسكريّة تعبّر عن الحرس الخاص للإمبراطور، ثمّ تطوّرت خلال القرون التالية لتصبح لقبًا شرفيًّا. انظر:

Bury, *The Imperial Administrative System*, p. 112; Kažhdan, A., "Spatharios", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 3, pp. 1935-1936.

(97) *P. Ness*. III. 35.
(98) *P. Ness*. III. 15, 18-21, 24.

وردت كلمة ستراتيوتيس بمعنى "الجندي"، الذي حُرّم عليه في بداية العصر البيزنطيّ العمل بالزراعة أو التجارة، ليتفرّغ للدفاع عن الدولة أو بناء الحصون أو تمهيد الطرق أو بناء السفن مقابل ما يتلقّاه من راتب، وقد قُسِّمَ الجنود إلى عدّة طبقات، أعلاها الفرسان والبحارة، ثمّ النبالون والرمّاحون من المُشاة.

Kažhdan, A. and McGeer, E., "Stratiotes", In A. Kažhdan et als. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 3, pp. 1965-1966.

احتوت وحدة المُوالين لثيودوسيوس في معسكر نيسانا على مجموعة من الموظفين الإداريين، أتى على رأسهم مديرُ المعسكرِ الإداريُّ (ديوكيتيس) διοκίτης[99]، وكانت وظيفته الرئيسة جمع الضرائب، وهنا يظهر اسم جورج "ديوكيتيس معسكر نيسانا"، وهو موظّف مدنيّ تابع لحاكم الولاية[100]، يساعده في إدارة المعسكر من الناحية الإداريّة رئيس الموظفين "البريميكيريوس" πριμικηρίῳ[101]، وكاتب المعسكر σκρινιάριος κάστρου[102]، ومجموعة من موظفي المعسكر[103]، إلى جانب سُعاة البريد κούρσορσι[104].

ث- <u>الأوضاع الاجتماعية والاقتصاديّة لوحدة المُوالين لثيودوسيوس:</u>

احتوت أطلال بلدة نيسانا –مقرّ الوحدة العسكريّة– على الكثير من الآثار البيزنطيّة، فاشتملت على كنائسَ وقلعةٍ وآبار وجبّانة ومزارع كروم ومخازن للغلال، وربطت مجموعة من القنوات آبار البلدة بالأحواض والمزارع بعد رفعها بالسواقي، كما أقام سكان البلدة السدود الحجريّة لتوسيع رقعة الرّيّ، إضافة إلى وجود بركة ماء ترجع إلى العصر الرومانيّ[105]. وحسبما جاء في تقارير البعثات الأثرية الحديثة فإن البلدة كانت منقسمة إلى قسمين؛ الأول أعلى التلة ويحتوي على المعسكر الحربيّ بطول 83 مترًا وعرض 33 مترًا، والثاني في الأسفل ومساحته 37–44 فدانًا، ويحتوي على مساكن البلدة التي تكوّنت من تسعة تجمّعات، التي بلغ منْ يقطنونها خلال الفترة البيزنطيّة قُرابة من 4000 نسمة، كما اشتملت البلدة على ثمانين حظيرة، اتسعت لنحو 4000 رأس من الماشية[106].

تصف أوراق البرديّ اليونانيّة، التي تعود إلى القرنين السادس والسابع الميلاديين، الصّحراء والقبائل البدويّة العربيّة التي كانت تعمل ضمن الجيش البيزنطيّ؛ حيث ظهرت في تلك الوثائق أحد بطون قبيلة جُذام المُسمّاة زمزم

---

(99) *P. Ness*. III. 68.

يعدّ أصل مصطلح الديوكيتيس مبهم وغامض، وربما كان موظفًا ماليًّا أو قضائيًّا في الولايات الإمبراطوريّة، خاصّةً الشرقيّة منها، وقد ظهر كجامع للضرائب. انظر:

Bury, *The Imperial Administrative System*, p. 89; Kažhdan, A., "Dioiketes", In A. Kažhdan et al. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 1, pp. 626-627.

(100) *P. Ness*. III. 68.

(101) *P. Ness*. III. 35.

استُخدم مصطلح البريميكيريوس للدّلالة على عدد من الأعضاء في بعض المجموعات الوظيفّية، وظلّ مُستخدمًا في الدوائر الحكوميّة طوال العصر البيزنطيّ، ففي الجيش أُطلق على مجموعة الحرس الإمبراطوريّ، وفي الإدارة المدنية أُطلق لفظ بريميكيريوس على رؤساء السجلات والدواوين.

Kažhdan, A., "Primikerios", In A. Kažhdan et al. (eds.), *Oxford Dictionary of Byzantium*, 3 vols. Oxford and New York, 1991, vol. 3, pp. 1719-1720.

(102) *P. Ness*. III. 19.

ظهر مصطلح السكرينياريوس *scriniarius*، في عهد قسطنطين الأول، ومعناه في اللغة اللاتينيّة "حُرّاس الوثائق"، ليساعدوا الولاة في عمليّة جمع الضرائب، خاصّةً الضريبة الحربيّة.

John of Lydus, *On Powers or the Magistracies of the Roman State*, Translation and Commentary by A.C. Bandy, Philadelphia, 1983, pp. 188-189.

(103) *P. Ness*. III. 68.

(104) *P. Ness*. III. 35.

(105) نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، ص72–73. انظر الشكل (4).

(106) Broshi, "The Population of Western Palestine", pp. 2-3; Haiman, M., "Early Bronze Age IV Settlement Pattern of the Negev and Sinai Desert: View from Small Marginal Temporary Sites", ***Bulletin of the American Schools of Oriental Research*** 303 (Aug., 1996), pp. 4, 17.

Zamzama، التي سكنت المنطقة القريبة من نيسانا وإلوسا بصحراء النقب[107]، وكانت تنقل البريد، وهو ما ظهر في برديّة يرجع تاريخها إلى بداية القرن السابع الميلاديّ[108]. وعلى ذلك، يمكن القول إنّ غالبيّة السكان في منطقة الحدود المصريّة الفلسطينيّة كانوا من العرب، وهو ما تؤكّده رواية أحد الرهبان السريان خلال الفترة (419–422م) لدى عبوره من فلسطين إلى سيناء؛ إذ وجد أنّ البدو الوثنيين على الحدود المصريّة الفلسطينيّة كانوا من العرب الذين فرضوا سيطرتهم على تلك المنطقة الحدوديّة[109].

تشكّلت وحدة المُوالين لثيودوسيوس –خلال العصر البيزنطيّ– من ثلاثة أعراق؛ العرب الأنباط، والمصريين الأقباط، واليونانيين. وكان الأنباط يشكّلون غالبيّة السكان؛ إذ ورد الكثير من الأسماء النبطيّة في أوراق البرديّ التي وُجدت في تلك المنطقة، ومن تلك الأسماء: زونين Zunayn، وعوال Ouales، والأُبي al-Ubayy، والغوب al-Ghubb، وأبو زونين بن سيدان Abu Zunayn s. Sidan، وتيم (عبد) عُبادة Taim ‘Obodas، وغانم Ghanm، وسعد الله Sa‘d Allah، وعمرو بن نملة ‘Amr s. Namla، وحوران بن خُلَيْص Hawran s. Khulais، وزينو بن فيرسان Zeno s. Firsan، وفيسان Faysan، والعُبيد al-‘Ubayd، وزعوان Za‘wan، وأبو تافاري Abu Tafari، وعبد الجا ‘Abd al-Ga، وأسد Asad. والعلقة al-‘Alqa. أمّا الأسماء المصريّة القبطية فقد ورد ذكر الجنديين أمون Ammonius وبقطر (فيكتور) Victor، كما وردت أسماء يونانيّة ذات طابع هليني، وهو السِّمة الغالبة على منطقة سوريا وفلسطين آنذاك، أمثال: سرجيوس Sergius، وإلياس Elias، وتوماس Thomas[110]. ومن الملاحظ أنّ العلاقات الاجتماعيّة بين سكان منطقة النقب لم تكن منغلقة، بل كانت مفتوحة على جيرانها من العرب والمصريين والرومان من أصولٍ هلينيّةٍ، وهو ما يظهر في مجموعة العائلات التي سكنت تلك المنطقة[111]، فنجد اسمًا لأحد الأشخاص ذات صبغةٍ مصريّةٍ قبطيّة، في حين نجد اسم أبيه ذات أصولٍ هلينيّة، مثل الجندي آمون بن توما، من جهةٍ أُخرى نجد اسمًا عربيًّا أباه يونانيّ مثل زعوان بن توما، والعكس مثل سرجيوس بن إلياس حفيد عبد عُبادة الذي أنجب أربعة أولاد، اختلطت أسماؤهم ما بين العربيّة واليونانيّة (العلقة وزكريا وإلياس وستيفن)[112].

وعلى الرّغم من غلبة العنصر النبطيّ على جنود وأهالي إلوسا ونيسانا فإنّ المنطقة تأثرت بالهُويتين المصريّة والسوريّة، وهو ما ظهر من خلال إحدى البرديّات التي كانت تؤرّخ بالشهور المصريّة القديمة، مثل شهر بابه Φαῶφι (أكتوبر– نوفمبر)، وهاتور Ἀθὺρ (نوفمبر– ديسمبر)، وكيهك Χύακ (ديسمبر – يناير)، وطوبة Τῦβι (يناير– فبراير)، وبرمودة Φαρμοῦθι (أبريل– مايو)، وبشنس Παχὼν (مايو– يونيه)، وبؤونة Παῦνι (يونيه– يوليو)[113]، كما أرّخ العرب الأنباط في أرشيف نيسانا بالتقويم السلوقي القديم الذي كان متداولاً في سوريا وفلسطين منذ الحكم السلوقيّ في القرن الثالث قبل الميلاد[114]، فوردت أسماء بعض الشهور كشهر بيريتيوس Περίτιος

(107) *P. Ness*. III. 28.
(108) *P. Ness*. III. 51.
(109) Nau, F., “ History de Barsawma de Nisibe, Resume de monographies syriaques”, ***Revue de l'Orient chretien*** 18 (1913), pp. 382-383; Caner, *History and Hagiography*, p. 14.
(110) *P.Ness*. III. 16, 18-25, 27, 37.
(111) Ruffini, *Social Networks*, pp. 253-254; Ruffini, “Village Life and Family Power”, pp. 201-222.
(112) *P.Ness*. III. 19.
(113) *P. Ness*. III. 90.
(114) Meimari, *Chronological Systems in Roman-Byzantine Palestine*, p. 38.

(يناير)[115]، وزانثيكوس Ξανθικος (مارس)[116]، أرتيميسيوس Ἀρτεμίσιος (أبريل)[117]، وديسيوس Δαίσιος (مايو)[118]، وباناموس Πάναμος (يونيه)[119]، ولوس Λῷος (يوليو)[120]، وجوربياؤس Γορπιαίος (أوغسطس)[121]، وديوس Δίος (أكتوبر)[122]، وأبيلايوس Ἀπελλαίος (نوفمبر)[123]، وأودونايوس Αὐδυναίος (ديسمبر)[124]. كما وردت إشارة واحدة لشهر سبتمبر Σεπτεμβρίαις في إحدى البرديات، كإشارة إلى استخدام التقويم اليوليانيّ الرومانيّ[125]. ويمكن القول إنّ منطقة النقب التابعة لولاية فلسطين الثالثة خلال العصر البيزنطيّ كانت كغيرها من المناطق المجاورة في ولايات فلسطين الأولى والثانية والعربية قد تأثرت بالتقويمين المصريّ القديم الذي اعتُمِدَ عليه خلال العصرين اليونانيّ والرومانيّ، ومن بعدهما العصر البيزنطيّ، كذلك التقويم السلوقيّ الذي اعتمد على التقويم المقدونيّ اليونانيّ[126].

رصدت لنا أوراق البرديّ الحياة الاجتماعيّة في معسكر نيسانا –مقرّ وحدة المُوالين لثيودوسيوس– على الحدود المصريّة الفلسطينيّة، فهناك عقد زواج يرجع تاريخه إلى عام 537م، يظهر فيه اسم العروس عانية Ania (هنية) ابنة السيّد أُبي بن إلياس الجندي في معسكر نيسانا، والعريس عُوال بن الأُبي الجندي في المعسكر نفسه، وقد وكّل الأخير أخاه السيّد الغُوب بن الأُبي في عقد القران، فقدَّم مهرًا مقداره ستّ أوقيات ذهبيّة، إضافة إلى ستة صوليدات ذهبيّة دُفِعَتْ إلى العروس مُقدّمًا، وأقرّ السيّد الغُوب بأنّ المهر المُقدّم للعروس أصبح لها ولورثتها من بعدها، وأنّ أخاه إذا ما بدّد ذلك المهر فهو ملتزم بإعادة دفعه مرّة أُخرى حَسَبَ القوانين الرومانيّة، وهذا العقد مُلزِم لكلّ من عانية وورثتها وعُوال وورثته، كما كان العريس مُلزَمًا بإهداء عروسه بعض الأغراض الذهبية الملوّنة، وعشرة وسائد، وفي حال موت عانية فإنّ ممتلكاتها سوف تُقَسَّمُ حَسَبَ ما أقرّه القانون الرومانيّ[127]. ووُجد عقد زواج آخرَ يرجع تاريخه إلى عام 558م بين السيّد سرجيوس –الجندي في معسكر نيسانا– ومُليكة ابنة إبراهيم، وكان مهرها المهر نفسُه الذي أُقرّ لعانية ابنة أُبي؛ ستّ أوقيات ذهبيّة وستة صوليدات، كما اعترف العريس بالالتزامات نفسها التي وردت في العقد السابق[128].

ومن الموضوعات الاجتماعيّة التي رصدتها لنا أوراق البرديّ الشكايات التي وردت إحداها في برديّة، وكانت ردًّا للسيّد بُقطر بن إبراهيم كاتب بلدة نيسانا على شكاية أمون بن توما –الجندي في معسكر البلدة– ضدّ أخيه زعوان، التي قدَّمها للمحكمة، وبحضور الشهود رُدَّ عليه بعدم أحقيّته في اتّهام أخيه، وقد شهد على ذلك السيّد أبي زونين بن

(115) *P. Ness*. III. 20.
(116) *P. Ness*. III. 45.
(117) *P. Ness*. III. 84.
(118) *P. Ness*. III. 18.
(119) *P. Ness*. III. 16-17, 21.
(120) *P. Ness*. III. 19, 46.
(121) *P. Ness*. III. 30.
(122) *P. Ness*. III. 22, 89.
(123) *P. Ness*. III. 24, 89.
(124) *P. Ness*. III. 26, 29.
(125) *P. Ness*. III. 30.
(126) Meimari, *Chronological Systems in Roman-Byzantine Palestine*, p. 40; Barag, D., "An Epitaph of the Early Fifth Century A.D. from the Raphia Area", ***Israel Exploration Journal***, Vol. 24, No. 2 (1974), pp. 128-131.
(127) *P. Ness*. III. 18.
(128) *P. Ness*. III. 20.

سيدان مساعد قائد الحامية العسكريّة بالبلدة، وذلك في الثامن عشر من شهر أُغسطس عام 548م[129].

كانت المسيحيّة الديانة الغالبة والرسميّة في المعسكر؛ حيث ورد في تقارير البعثات الأثريّة أنه خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين بُنِيَ في البلدة العديد من الكنائس، وقد اعتقد الأثريون أنّ كنيسة نيسانا قد حُوِّلَتْ إلى دير خلال الفترة 598–605م، كما بُنيت ثلاث كنائس أُخرى خلال عامي 601–602م[130]، وأوردت أوراق البرديّ والحفائر الأثريّة أسماء الكنائس الموجودة بالبلدة، التي بلغ عددها ستّ، ولكن بقيَ ثلاثٌ منها، هي: كنيسة ودير القديسين سرجيوس Sergius وباخوس Bachus (الكنيسة الشمالية)، وكنيسة القديسة مريم (الكنيسة الجنوبية)، وكنيسة صغيرة تقع إلى الشمال من كنيسة ودير القديسين سرجيوس وباخوس[131]. وقد أظهرت أوراق البرديّ التي يرجع بعضها إلى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلاديّ أنّ قِسّ كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس كان يُدعى زونين[132]، بينما كان ابنه جُذيمة بن زونين يعمل شمّاسًا مساعدًا في الكنيسة[133]. كما أظهرت الوثائق أنّ أهالي البلدة كانوا يتقرّبون لكنيسة ودير القديسين سرجيوس وباخوس تبرّكًا بهما، إلى جانب أنّ أهالي البلدة كانوا يحتفلون بميلاد القديسين[134].

احتوت بلدة نيسانا –كما ذُكر آنفًا– على مضيفة للمسافرين نُسبت إلى القديس جورج St. George، كان المسافرون والرّهبان –باعتراف الرّحالة الأوربيين– يجدون فيها المأوى والمؤونة، ومن هناك يمكن للمسافرين دخول الصّحراء[135]، ونظرًا إلى أنّ معسكر نيسانا كان يقع على الطريق الصّحراوي الواصل بين القدس وسيناء فقد أصبحت البلدة مركزًا تجاريًّا مهمًّا يرتاده المسافرون[136]، وكان ذلك المركز يقع في منزل أبي يوسف بن دوباب فيما وراء معسكر نيسانا، وقد ورد في أوراق البرديّ أنّ ذلك المركز احتوى على مخزن به ستة وتسعون فُرشًا يستخدمها المسافرون في أثناء الاستراحة من وعثاء السفر، كما احتوى المركز التجاريّ على مخزن للنبيذ الذي كان يُباع للمسافرين بين مصر وفلسطين[137]، وكان يُتَعامل بالصوليديّ البيزنطيّ، الذي كان يُضرب في دار السكّة الموجودة في مدينة غزّة، فعُرف بالصوليديّ الغزاويّ، وكان وزنه أربعة جرامات من الذهب الخالص، فأصبحت المدن والبلدات والقرى الحدوديّة تستخدم هذا النوع من العملة[138].

وصفت برديات نيسانا، التي تعود إلى أواخر القرن السادس أو بداية السابع الميلاديّ، حياة الجنود العرب من حراس الحدود في وحدة المُوالين لثيودوسيوس وعلاقتهم بالقوافل التجاريّة للعرب والمسافرين المسيحيين القادمين من أرجاء المعمورة لزيارة سيناء، وأنّ هذه القوافل كانت تمرّ بمنطقة النقب تحت حراسة هؤلاء الجنود، وخلال هذا الوقت أجرى الجنود عددًا من الصفقات التجاريّة معَ المسافرين، مثل شراء العبيد سواء كانوا صبيةً وفتيات، وشراء الإبل

(129) *P. Ness*. III. 19.
(130) Mango, "Nessana", p. 1458.
(131) *P. Ness*. III. 35, 45-46, 51, 79-80, 90. See also: Figueras, P., "Monks and Monasteries in the Negev Desert", ***Liber Annuus*** 45 (1995), pp. 425-429.

انظر الشكل (4).

(132) *P. Ness*. III. 50.
(133) *P. Ness*. III. 46.
(134) *P. Ness*. III. 50, 52, 79-80.
(135) Antoninus martyr, *Of the Holy Places*, p. 28; Piacenza Pilgrim, *Travelogue* (*Itinerarium*), pp. 254-255.
(136) Ruffini, "Village Life and Family Power", p. 204.
(137) *P. Ness*. III. 31, 40.
(138) *P. Ness*. III. 21, 26, 46.

والحمير، إضافة إلى شراء كميّات من الصّوف، وقد ورد في إحدى البرديات أثمان بعض السلع؛ إذ كان من الممكن شراء العبد بستة صوليدات، والأَمَةِ بثلاثة صوليدات، وكان سعر ذَكر الجمل يتراوح ما بين أربعة وثلث وستة وثلث، بينما كان سعر الناقة سبعة صوليدات، وكان ثمن الآتان (أنثى الحمار) صوليديين وثلث، بينما كان سعر الفرس (أنثى الخيل) ثلاثة صوليدات، والمُهر صوليدي واحد، أمّا الستائر الحريريّة فكان سعر الواحدة منها صوليديين، ورطل الصّوف صوليدي وسدس، وأخيرًا الحقيبة التي تُحمل على ظهر الإبل كان ثمنها مائتي فلس(139).

تعرّضت القوافل المارّة بمنطقة نيسانا للسرقة من قِبل بعض الجنود، ولكنّ المسافرين كانوا يهرعون إلى شيخ القبيلة الذي كان يجبر أتباعه من الجنود بإعادة ما سرقوه من المسافرين، أو دفع ثمن المسروقات، وقد أشارت بعض البرديّات إلى تعرّض إحدى القوافل المارّة بمنطقة النقب لغارة من جانب عرب بني العُديد Eialwdeeid، وأنّ المسافرين عندما استغاثوا بالقائد عُديّ العربيّ دفع لهم ثمن ما سُرق منهم، كما أقرضهم بعضَ الأموال لشراء الصّوف من العرب المقيمين في المنطقة المجاورة للمعسكر، وأمر شيخ القبيلة جنوده بحراسة قوافل المسافرين مقابل الحصول على مبلغ قدره 3,5 صوليديّ(140)، وقد دُفع المبلغ لشيخ القبيلة الذي كان يقوم مقام قائد المعسكر؛ لضمان مرور القافلة تحت حمايته، وحتى لا يتعرّض لها أحد من رجال قبيلته من الجنود حرّاس الحدود، إلى جانب خدمة هؤلاء الجنود الأدلّاد والمرشدين للمسافرين عبر الدروب الصّحراويّة(141).

وكان الجنود في المعسكرات الحربيّة على الحدود بين مصر وفلسطين يمتلكون بعض الأراضي، ففي إلوسا ونيسانا ورينوكورورا حصل هؤلاء الجنود على أراضٍ زراعية(142)؛ لأنهم كانوا يمثلون حرّاسًا للحدود (الليميتاني)، الذين يحصلون على الأرض مقابل الدفاع عن حدود الإمبراطوريّة(143)، وكانت تلك الأرض تشبه نوعًا من الإقطاع الحربيّ، يرثها أبناء هؤلاء الجنود عند دخولهم الخدمة العسكريّة(144)، فأصبحت الخدمة العسكريّة وراثيّة(145)، وهو الأمر الذي تظهره أوراق البرديّ، من خلال وثائق الميراث، التي كانت كثيرًا ما تصف معظم أراضي بلدة نيسانا بأنها واقعة شمال البلدة(146). فمثلًا كان هناك مزرعة شرق بلدة نيسانا قد قُسِّمَتْ بين اثنين من الجنود، يحيى بن أسد وزونين بن إبراهيم، إضافة إلى زوجة الأخير، وهي نفسُها أخت الأول؛ حيث حصل زونين على الجزء الغربيّ للحديقة الصّغيرة، بينما حصل يحيى بن أسد على الجزء الشرقيّ، ولا نعلم ما الذي حصلت عليه الزوجة، وقد أُجرِيَ تبادل بعض القطع فيما بين زونين ويحيى مقابل صوليديّ ونصف، وكانت إحدى تلك القطع حقلاً لأشجار الكروم، ويظهر في تلك البرديّة مجموعة من الجيران، تبدو أسماؤهم عربيّة نبطيّة، أمثال العُبيد بن فيسان، وسعد الله بن إبراهيم، وابنه

(139) *P. Ness*. III. 89.
(140) *P. Ness*. III. 89.
(141) Mayerson, "The Word Saracen", p. 284.
(142) *P. Ness*. III. 15-16.
(143) Caner, *History and Hagiography*, pp. 11-12.
(144) السيّد الباز العريني، أجناد الروم، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1956م، ص18؛ طارق منصور، "الجيش"، ص43-44.
(145) بينز، الإمبراطورية البيزنطيّة، ص169؛ طارق منصور، "الجيش"، ص44.
(146) Mayerson, Ph., "The Ancient Agricultural Regime of Nessana and the Central Negev", In H.D. Colt (ed.), *Excavations at Nessana*, vol. 1, London, 1962, pp. 224-269. rep. in Ph. Mayerson, *Monks*, *Martyrs*, *Soldiers and Saracens*, *Papers on the Near East in Late Antiquity (1962-1993)*, Jerusalem, 1994, pp. 21-39, esp. 21.

إبراهيم بن سعد الله[147].

وكانت النُّظم الأساسيّة للرّيّ في منطقة النقب تعتمد على الأمطار التي كانت تتجمّع في الأودية، ففي منطقة إلوسا ونيسانا كانت المياه تتجمّع في وادي الحفير (نيسانا)، الذي كان يتّجه إلى الشمال الغربيّ ليتّحد معَ وادي العريش الذي يصبّ في البحر المتوسّط عند مدينة رينوكورورا[148]، كما تحتوي بلدة نيسانا على إحدى عشر بئرًا أُخرى تنقل إليها المياه مجموع من القنوات، كما وُجدت قنوات أُخرى تأخذ المياه من تلك الآبار إلى بركة مياه نشأت خلال العصر الرومانيّ، التي تستمدّ الأحواض والمزارع مياهَها منها بعد رفعها بالسواقي المصريّة، كما أقام سكّان البلدة السدود الحجريّة لتوسيع رقعة الأراضي المرويّة[149].

وكان سرجيوس بن إلياس الجندي في معسكر نيسانا قد وزّع تركته على أولاده الأربعة عام 562م، كان أحدهم يُدعى إلياس من زوجته الأولى ماريّة ابنة عبد عُبادة، وثلاثة أبناء من زوجته الثانية مُليّكة ابنة إبراهيم، وهم العلقة وزكريا وستيفن، وقد احتوت تلك التركة على عدد من الأسهم والمباني والمزارع والأدوات الزراعيّة، وأقرّ سرجيوس أنّ التقسيم الحاليّ فيما بين الأخوة سيكون في حضور الأصدقاء والأقارب، وسوف يؤكّد كلٌّ منهم للآخرين بأغلظ الإيمان المسيحيّة وبحياة الإمبراطور بأنهم لن يسلبوا بعضهم شيئًا ممّا حصلوا عليه، وأنّ كلّاً منهم مُلزم بعدم التعدّي على ما لدى أخيه من ممتلكات، ومنْ يفعل ذلك سوف يُقتطع جزءٌ من ممتلكاته كتعويض عمّا اقترفه من أخطاء في حقّ أخيه، وستُقدّر الغرامة بما يعادل ستّة صوليدات ذهبيّة، وبعد دفع الغرامة سيبقى الجزء الخاصّ بالمُعتدِي له في المستقبل حسبما يقرّه القانون، وسيكون لإلياس الابن الأكبر خصوصيّة بالحصول على جزء من المنزل بما يعادل سبعة صوليدات إلّا سبعة قراريط، كما سيحصل إلياس على ربع الحصص من المزارع التي تجاور ممتلكات الورثة، معَ تمتعه بجميع الحقوق القانونيّة على تلك الممتلكات، كما حدّدت البردية الحدود الأربعة لتلك التَّركة[150].

كان السيّد غانم بن ستيفن الجندي في معسكر بلدة نيسانا قد تقاسَمَ عام 566م منزلاً معَ أُخته الأرملة عانية ابنة ستيفن، وأقرّ الطرفان بأنّ التقسيم الحاليّ فيما بين الأخوة سيكون في حضور الأصدقاء والأقارب، وسوف يؤكّد كلٌّ منهما للآخرين بأغلظ الإيمان أنهما لن يسلبا بعضهما شيئًا ممّا حصلا عليه، وأنّ على كلّ من الطرفين ألّا يّتعدى على ما لدى أخيه من ممتلكات، ومنْ يفعل ذلك سوف يُقتطع جزءًا من ممتلكاته كتعويض للآخر، وقُدرت الغرامة في هذه المرّة بما يعادل ثمانية صوليدات ذهبيّة، وسيكون لغانم نصيبه من المنزل، وهو حجرتان متلاصقتان جهة الشمال، مسقوفتان ومطليتان بالجصّ على نحوٍ تامّ، ومفصولتان عن الجزء الجنوبيّ الذي يحتوي على رواق الحديقة والطريق الذي يعلوه قوس، ويقود إلى بقيّة الملكيّة، وستحصل عانية على النصف الآخر من المنزل الذي يساوي المساحة نفسَها التي حصل عليها أخوها[151].

---

(147) *P. Ness*. III. 16.

(148) Baron, "Adaptive Strategies in the Archaeology of the Negev", p. 58.

(149) نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها، ص72-73.

(150) *P. Ness*. III. 21.

تراوح وزن الصوليدي خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين ما بين 18- 24 قيراط؛ أي ما يساوي 3,47 – 4,5 جرام ذهبي. انظر:

Adelson, H. L., *Light Weight Solidi and Byzantine Trade during the Sixth and Seventh Centuries*, New York, 1957, pp. 50-52; Grierson, Ph., *Byantine Coins*, University of California Press, Berkeley and Los Angeles, 1982, pp. 52-53.

(151) *P. Ness*. III. 22.

وهناك عقد آخرُ بتاريخ 567م بين ابن أبي تافاري والجندي عبد الجا؛ إذ باع الأول للثاني جزءًا من حديقة، إضافة إلى فرن لصناعة الخبز، وأقرّ البائع ابن أبي تافاري بأنّ المشتري عبد الجا لن يدفع ضرائب هو وورثته عن تلك الأرض التي تقع في منطقة تسمّى كوريوثاس Koreothas، وقد منح ابن أبي تافاري ذلك الامتياز –الذي حصل عليه من قبلُ لدى حصوله على تلك الحديقة– لعبد الجا، وأقرّ البائع بأنّ كلّ ممتلكاته الحاليّة والمستقبليّة سوف تكون رهنًا للمشتري إذا ما أخلّ بشروط البيع(152).

وكان للجنود في وحدة المُوالين لثيودوسيوس حقّ التنازل عن ممتلكاتهم لأمثالهم من الجنود الآخرين، وهو ما حدث بين الجندي ستيفن بن إبراهيم الذي تنازل لأخيه الأكبر أوس الجندي في وحدة المُوالين لثيودوسيوس عن معصرة زيت زيتون موجودة في بلدة نيسانا، وذلك في الخامس من بؤونة (30 مايو 512م)، وقد أبرما العقد في مدينة رينوكورورا في أثناء خدمتهما في الجزء المنتقل من معسكر نيسانا إلى رينوكرورا آنذاك(153).

كان الموظفون في وحدة المُوالين لثيودوسيوس قد أبرموا فيما بينهم اتفاقات بشأن الاقتراض من بعضهم، وهو ما نراه في إحدى البرديات التي يرجع تاريخها إلى عام 570م وترصد اقتراض اثنين من موظفي معسكر نيسانا –أحدهما يُدعى سرجيوس والآخر يُدعى ابن عوال حفيد الأُبي– أربعة صوليدات ذهبيّة من ستيفن بن إبراهيم الدمستق السابق في المعسكر، وتعهّد الموظفان بردّ تلك الصوليدات الذهبيّة له أو لورثته بعد أقلّ من عام بفائدة لا تقلّ عن 6% من غير تأخير أو مماطلة(154). وفي عام 572م تُظهر برديّة أُخرى اقتراض المدعو ستيفن بن الجندي سرجيوس بن إلياس مبلغ أربعة صوليدات من أحد أفراد عائلة بني زمزم العربيّة التي يرجع نسبها إلى قبيلة جذام، وتعهّد ستيفن بردّ المبلغ بالفائدة السابق ذكرها(155).

ج– <u>أسباب ضعف الوحدة واضمحلالها خلال القرن السابع الميلادي:</u>

ظلّت أخبار وحدة المُوالين لثيودوسيوس تتوارد عبر أوراق البرديّ حتى عام 608م، ثمّ اختفت ولم يعد لها أيّ ذكر بعد هذا التاريخ، وكانت تلك الفترة قد شهدت الصّراع بين فوقاس Phocas (602–610م) مغتصب العرش البيزنطيّ، وهرقل الابن الذي شنّ حملة توجّهت من ولاية أفريقيّة إلى القسطنطينيّة عام 608م، واستطاع هرقل دخول العاصمة والقبض على فوقاس والتخلّص منه، ولكنّ هرقل ما لبث أن مُنِيَ بكارثة الاجتياح الفارسيّ للأراضي البيزنطيّة في سوريا وفلسطين ومصر، فوقعت منطقة الحدود المصريّة الفلسطينيّة تحت السيطرة الفارسيّة خلال الفترة (617–618م)(156)، ولم تظهر أيّة أخبار لوحدة المُوالين لثيودوسيوس آنذاك. وربّما كان الاجتياح الفارسي لمنطقة النقب سببًا في تشتيت الوحدة عبر مجاهل الصّحراء، فولّى أفرادها وجوههم قِبل الصّحراء في شمال شبه الجزيرة العربيّة، وانزوى بعضهم الآخرُ في الدروب الجبليّة في وسط سيناء وجنوبها، وظلّ حال هؤلاء العرب من حرّاس الحدود من تشتّت وهروب حتى أُجلِيَتْ القوات الفارسيّة عن مصر وفلسطين عام 629–630م(157).

---

(152) *P. Ness*. III. 23.
(153) *P. Ness*. III. 15.
(154) *P. Ness*. III. 26.
(155) *P. Ness*. III. 28.
(156) Theophanes, *The Chronicle*, p. 432.
البطريرك نقفور، التاريخ المختصر 602–769م، نقله إلى العربيّة وعلق عليه الدكتور هانئ عبدالهادي البشير، دار النهضة العربيّة، القاهرة، 2007م، ص61.
(157) البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص69–70.

وما إنْ تمكّن هرقل من دحر الفرس واستعاد سيطرته على الولايات الشرقيّة حتى ظهر له عدوّ جديد آتٍ من الجنوب، تمثّل ذلك في القوّة الإسلاميّة القادمة من الحجاز بقيادة الرسول محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، فاستعان هرقل ببعض القبائل العربيّة التي كانت ما تزال تعيش على أطراف الصّحراء على الحدود المصريّة الفلسطينيّة لصدّ الحملات الإسلاميّة على حدود منطقة العربيّة[158]، وكانت المحاولة الأولى للهجوم الإسلاميّ على الحدود البيزنطيّة جنوبي فلسطين، تلك الحملة التي اصطدم فيها المسلمون والجيش البيزنطيّ بقيادة القائد ثيودور Theodore وحلفائه العرب من قبائل لخم وجذام وبهراء وبلي تحت قيادة أحد قادتهم المدعوّ مالك بن رافلة (زاحلة) في بلدة مؤتة عام 8هـ/ 629م[159]، وعلى الرّغم من الصّعوبات التي تعرّض لها الجيش الإسلاميّ في تلك المعركة وقتل ثلاثة من كبار القادة المسلمين[160]، فإن البيزنطيين وحلفاءهم من العرب المتنصّرين حرّاس الحدود أحسّوا بالخطر الإسلاميّ[161]، فلم يكتفوا بالانتصار على المسلمين في مؤتة بل جمعوا جيوشهم وتوجّهوا نحو البلقاء، بينما غادر الإمبراطور هرقل إلى حمص، فعلم الرسول بذلك فجمع جيشًا في العام التالي (9هـ/ 630م) خرج به إلى تبوك، فسارعت بعض القبائل العربيّة الموالية للبيزنطيين بعقد الصلح معَ الرّسول، وكان أهل أيلة Aila (العقبة) بقيادة حاكمهم يوحنا بن رُؤْبَة أول منْ حصل على أمان من الرّسول، صلّى الله عليه وسلّم، وحصل المسلمون على جزية مقدارها 300 دينار من أهل أيلة مقابل عدم المساس بتجارتهم سواء في البرّ أو البحر[162]، وبذلك انتقلت الحدود الجنوبيّة بين مصر وفلسطين من السيطرة البيزنطيّة إلى السيطرة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة عام 9هـ/ 630م.

وبوفاة النبي محمّد، صلّى الله عليه وسلّم، عام 11هـ/ 632م، شنّ أتباعه المسلمون حربًا ضدّ الحدود المصريّة الفلسطينيّة؛ إذ أمر الخليفة أبو بكر الصديق بجمع جيش كبير لغزو فلسطين[163]، وعلى الرّغم من أهميّة تلك الفترة فإنّ معظم المصادر البيزنطيّة لم تهتمّ بتدوين أخبار تلك الحملات، ولم يشذّ عن ذلك إلّا ثيوفانيس المعترف والبطريرك نقفور؛ فقد ذكر ثيوفانيس أنّ الإمبراطور هرقل قد دفع المال إلى البدو العرب القاطنين على الحدود المصريّة الفلسطينيّة ليدافعوا عن تلك المنطقة، وطلب منهم ألا يدلّوا العرب على الطرق التي يمكنهم النفاذ منها إلى الولايات البيزنطيّة، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن؛ فقد أرسل هرقل أحد خصيان القصر الإمبراطوريّ ليُشرف

(158) Mayerson, "The first Muslim attacks on southern Palestine", ***Transactions and Proceedings of the American Philological Association*** 95 (1964), pp. 160-161.

(159) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. 6، 11 جزء، دار المعارف، القاهرة، 2006م، جـ3، ص37، 42، 389.

(160) ابن اسحاق، السيرة النبويّة، تحقيق أحمد فريد المزيدي، جزءان، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2004م، جـ2، ص504-510. وانظر، Theophanes Confessor, *The Chronicle*, p. 466.

(161) ليلى عبد الجواد إسماعيل، الدولة البيزنطيّة في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، دار النهضة العربيّة، القاهرة، 1985م، ص349؛ طارق منصور محمد، *بيزنطة والعالم الخارجي*، ج1 (البيزنطيون والعالم الإسلامي)، دار مصر العربيّة، القاهرة، 2003م، ص40.

(162) البلاذري، فتوح البلدان، جزءان، تحقيق دي جويه، ليدن، 1866م، جـ1، ص59؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ3، ص108؛ ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، 11 جزء، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1991م، جـ1، ص250-251.

(163) ابن إسحق، السيرة النبويّة، جـ2، ص673.

على عمليّة توزيع الأموال على القبائل العربيّة حليفة البيزنطيين، لكنّ الخصيّ رأى عدم أحقيّة هؤلاء الجنود العرب بتلك الرواتب التي يتقاضونها، وأنّ الجنود في الجيش البيزنطيّ أحقّ بتلك الأموال، فما كان من هؤلاء العرب إلّا أن تركوا صحراء النقب، ونزحوا إلى مدينة غزّة[164]، فأصبحت الحدود المصريّة الفلسطينيّة خالية من أيّة دفاعات أمام القوّات الإسلاميّة. ويبدو من حديث ثيوفانيس أنّ هؤلاء الجنود العرب الذين اتفق معهم هرقل على حماية الحدود الجنوبيّة لفلسطين ضدّ الهجمات العربيّة مقابل رواتب تُدفع لهم بانتظام، كانوا من بقايا الحاميات العربيّة العاملة كحرّاس للحدود في صحراء النقب، التي تشتّت أمرها في أثناء السيطرة الفارسيّة على ولايات سوريا وفلسطين ومصر خلال الفترة (614–629م)، وأنّ تلك القوّات العسكريّة الضاربة في مجاهل الصّحراء عادت لتتجمّع مرّة أُخرى بعد عودة السيطرة البيزنطيّة على الولايات الشرقيّة، فحاولت بيزنطة أن تستغلّ ذلك لصالحها ضدّ المسلمين، خاصّةً وأنّ الجيش البيزنطيّ تعرّض للإنهاك طوال عشرين عامًا في حروبه ضدّ الفرس، ولكن كانت المسائل الماليّة هي السبب في تخلّي هؤلاء العرب عن الدفاع عن الحدود البيزنطيّة وتركها مكشوفة أمام الجيوش الإسلاميّة. الأمر الذي استغلّه المسلمون في حملتهم التي خرجت إلى فلسطين؛ إذ كان من المألوف للمسلمين أن يتجهوا مباشرةً من مدينة أيلة جنوبًا مباشرةً إلى غزّة شمالًا مرورًا بمدينة البترا؛ لمعرفة العرب بذلك الطريق قبل ظهور الإسلام؛ حيث كان طريقًا للقوافل التجارية العربيّة من أيلة إلى غزّة[165]، ولكنّ فيليب مايرسون رأى أنّ العرب توجّهوا من أيلة إلى عمق صحراء سيناء، ومن هناك اتجهوا –بمعاونة القبائل العربيّة الغاضبة من بيزنطة– إلى غزّة من طريق غير معتاد عبر بلدات نيسانا وعبدة، ومنها شمالًا إلى غزّة[166].

بعد الفتح الإسلامي، ابتُلعت ولايتا فلسطين الثالثة والأولى التي كانت وحدة المُوالين لثيودوسيوس تقع ضمن نطاقها، وانتقلت الحدود المصريّة الفلسطينيّة ضمن ولاية جُند فلسطين تحت حكم والي غزّة[167]، ولم تُمَسَ المدينة بسوء من جانب المسلمين؛ حيث بقيت إدارة المدينة في يد سكانها من الموظفين المسيحيين العارفين باللغة اليونانيّة، وأدّى هؤلاء دورًا كبيرًا في الإدارة في تلك المنطقة تحت إشراف الوالي العربيّ[168].

الخاتمة:

ممّا سبق، ومن خلال استعراض تاريخ وحدة المُوالين لثيودوسيوس، يمكنُ القول:

- كانت المشكلات التي واجهت الإدارة البيزنطيّة على الجبهة الجنوبيّة الشرقيّة هي السبب في نشأة وحدة المُوالين لثيودوسيوس؛ فقد كانت هجمات القبائل العربيّة المحالفة للفرس تقضّ مضجع الحاميات البيزنطيّة على حدود

(164) Theophanes, *The Chronicle*, p. 466.

يروي البطريرك نقفور رواية مختلفة عن أسباب الخلاف بين العرب والبيزنطيين؛ فقد أقنع المدعو سرجيوس –أحد الموظفين الإمبراطوريين في فلسطين– الإمبراطور هرقل بعدم السماح للعرب بالتجارة في الأراضي البيزنطيّة، فأضاع عليهم الكثير من الأرباح، فقرّروا تدمير الأراضي البيزنطيّة، وقاموا بالقبض على سرجيوس وحبسوه في جلد جمل حتى لقيّ حتفه. انظر: البطريرك نقفور، التاريخ المختصر، ص71.

(165) Guillou, A., "Prise de Gaza par les Arabes au VIIe siècle", ***Bulletin de correspondance hellénique*** 81 (1957), pp. 401-402.

(166) Mayerson, "The first Muslim attacks", pp. 160-162, 195-196.

(167) *P. Ness*. III. 32-33.

(168) *P. Ness*. III. 55, 60-67.

فلسطين الجنوبيّة، فاستعانت بيزنطة ببعض القبائل العربيّة من بقايا دولة الأنباط ليكونوا حرّاسًا للحدود البيزنطيّة في صحراء النقب مقابل منحهم أراضي فى الولايات الحدوديّة.

- على الرّغم من نشأة وحدة المُوالين لثيودوسيوس خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلاديّ، فإنّ المصادر البيزنطيّة خلت من ذكرها، عدا بعض الشذرات التي وردت في كتاب سجل التكريمات؛ والسبب وراء ذلك بُعد المنطقة عن العاصمة القسطنطينيّة التي كانت ملاذًا لكثير من المؤرّخين والكُتاب، إضافةً إلى ما شهده القرن الخامس الميلاديّ من تراخٍ عسكريّ بسبب ضعف الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، والصّراع القائم بين خلفائه حتى بداية القرن السادس الميلادي؛ إذ بدأت وحدة المُوالين لثيودوسيوس في أداء دور فعّال حتى بداية العقد الأول من القرن السابع الميلاديّ، ثمّ عاودت الوحدة الانزواء مرّة أُخرى عقب الغزو الفارسي لفلسطين ومصر في العقد الثاني من القرن السابع.
- كانت وحدة المُوالين لثيودوسيوس تابعةً لدوق فلسطين من الناحية الإدارية، على الرّغم من توزيعها في نطاق ولايتين بيزنطيتين في كلّ من مصر وفلسطين (فلسطين الثالثة؛ وإقليم أوغسطامنيكا المصريّ)؛ إذ كانت الظروف العسكريّة والسياسيّة التي واجهت الدولة البيزنطيّة على الحدود الشرقيّة سببًا في مرونة الإدارة العسكريّة البيزنطيّة، وصبغتها بصبغة التعاون والتحرّك والتنقل بين الوحدات العسكريّة، فانتقل بعض الجنود في وحدة المُوالين لثيودوسيوس من نيسانا في ولاية فلسطين الثالثة إلى العريش في إقليم أوغسطامنيكا المصريّ.
- اعتمدت وحدة المُوالين لثيودوسيوس في تمويلها على الأراضي التي وُزّعت على جنودها، وما كانت تدفعه الإدارة البيزنطيّة من رواتبَ لجنود الوحدة، إضافة إلى ما كانت تحصل عليه الوحدة من جرّاء حمايتها للقوافل التي كانت تمرّ بصحراء النقب سواء كانت آتية من أيلة أو البترا، ومتّجهة إلى غزّة على ساحل البحر المتوسّط، أو قوافل الزائرين المسيحيين بين القدس وسيناء.
- انقلبت بقايا الوحدة على الإدارة البيزنطية خلال حرب الأخيرة معَ العرب المسلمين؛ بسبب قطع العطايا التي كانت تُمنح لقادة وجنود تلك الوحدة أيام الإمبراطور هرقل، وهو ما يُدلل على عدم تغلغل النظام البيزنطيّ في الإرث الثقافيّ العربيّ؛ حيث انضمّ هؤلاء الجنود والفرسان إلى القوّات العربيّة التي اتجهت من الحجاز إلى الشمال الفلسطينيّ والسوريّ والمصريّ، وتخلّوا عن البيزنطيين؛ لأنّ العربيّ كان يُدرك دائمًا النظرة الدونيّة التي كان البيزنطيون ينظرون بها إلى العرب، والحقد الدفين من جانب بيزنطة لهؤلاء البدو، ومعاملتهم في بعض المواقف بطريقة مشينة، وحرصهم على التقليل من شأن الفرسان العرب حتى ولو كانوا من المتنصرين على مذهب الدولة البيزنطيّة، فلما سنحت الفرصة للعرب انضموا إلى إخوانهم الفاتحين وظلت منطقة الحدود المصريّة الفلسطينيّة يتردّد صدى ذكرها في بردي نيسانا لعدّة عقود تالية بعد الفتح العربيّ الإسلاميّ لتلك المنطقة.

الأشكال والخرائط

الشكل (1): الرّمز العسكريّ للإمبراطور ثيودوسيوس الثاني.
نقلاً عن:
Notitia Dignitatum, ed. O. Seeck, Berlin, 1876, p. 16.

الشكل (2): رمز معسكر وحدة الهجّانة الثموديّة شمال سيناء. نقلاً عن:
Notitia Dignitatum, ed. O. Seeck, Berlin, 1876, p. 58.

الشكل (3): وادي العوجة المُطلّ على الجهة الشرقيّة لمعسكر نيسانا.
نقلاً عن: *http://.biblewalks.com/Photos74/Nitzana2s.jpg*

الشكل (4): صورة جوية لمعسكر نيسانا (العوجة) بتاريخ الخامس من نوفمبر 2003

نقلاً عن: *http://.biblewalks.com/Photos74/Nitzana_Google.jpg*

الشكل (5): أطلال مدينة إلوسا (الخلصة)

نقلاً عن: *http://ancientneareast.tripod.com/halutza.html*

الخريطة (1): الحدود المصريّة الفلسطينيّة خلال العصر البيزنطيّ

خريطة من عمل الباحث. خريطة الأساس نقلاً عن:

Wilknson, J., *Jerusalem Pilgrims before the Crusades*, Warminster-England, 1977, p. 17; Dahari, U., *Monastic Settlements in South Sinai in the Byzantine Period*, Jerusalem, 2000, p. 13.

The *arithmos* of the Loyalists to Theodosius and its Role in the Egyptian-Palestinian Borders during the Sixth and the Seventh Centuries A.D.

Muhammad Zayed Abdullah*

ABSTRACT

On 30th May 512 A.D., Flavius Stephen and his elder brother, soldier Flavius Aws stated that they were from Rhinocorura (El-'Arish) because they were soldiers in the military unit called "arithmos of the Loyalists to Theodosius" based there, although they were born in Nessana ('Auja). Another papyrus dating to 23th December 590 records two soldiers of the arithmos of the Loyalists to Theodosius who served in Elusa. This raises many questions about the arithmos of the Loyalists to Theodosius and the nature of relations among Rhinocorura, Elusa and Nessana.

This paper demonstrates that the Byzantine administration in the southeast frontier faced attacks from Arab tribes in the Arabian desert that had allied with the Persian Empire. That led to the establishment of the *arithmos* of the Loyalists to Theodosius in the eastern frontiers with the help of Arab tribes from the former Nabataean areas to protect the Byzantine frontier in the Negeb desert in exchange for grants of land in the frontier provinces.

Keywords: Byzantine Palestine, Elusa, Nessana, Rhinocorura.

*Department of History, Faculty of Arts, Fayoum University. Received on 25/6/2018 and accepted for publication on 16/9/2019.

REFERENCES

Adelson, H.L. (1957); *Light Weight Solidi and Byzantine Trade during the Sixth and Seventh Centuries*: New York.

Aharoni, A. (1954); "*The Roman Road to Aila (Elath)", Israel Exploration Journal* 4/1, Pp: 9-16.

Al-ᶜArīnī, A. (1956); *Agnād al-Rūm (The Roman Themes)*, Cairo.

Al-Kindī,(1912); *The Governors and Judges of Egypt or Kitāb al-'umarā' (al-wulāh) wa Kitāb al quḍāh*, ed. E. R. Guest, In E. J. W. Gibb Memorial Series 19, London.

Al-Wāqdī, *Futūḥ*,(1903); *Kitāb Futūḥ Misr wa al-Shām*, Cairo.

Ammianus, *Res Gestae*,(1935-2000); *Ammianus Marcellinus, Res Gestae*, trans. J. Rolfe, 3 vols. Loeb Classical Library 314-316, London.

Antoninus, *Holy Places,(* 1887*); Antoninus martyr, Of the Holy Places visited by Antonius martyr*, trans. J. Stewart, Palestine Pilgrims' Text Society 2/4, London.

Athanasius, *Letters,(* 1892); Athanasius bishop of Alexanderia, *Letters*, In A. Robertson (ed.), *Select Works and Letters, Nicene and Post Nicene Fathers* 4, New York.

Avi-Yonah, M. 1950-1951; "The Development of the Roman Road System in Palestine", *Israel Exploration Journal* 1/1, Pp: 54-60.

Balādhurī, *Futūḥ*,(1866); *Futūḥ al-Buldān*, ed. M. J. de Goeje, Leiden.

Barag, D. (1979); *"An Epitaph of the Early Fifth Century A.D. from the Raphia Area*", *Israel Exploration Journal*, Vol. 24, No. 2, Pp:128-31.

Baron, A.G. (1981*); "Adaptive Strategies in the Archaeology of the Negev", Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 242 , Pp: 51-81.

Baynes, N. (1950); *Byzantine Empire*, Translated from English to Arabic by H. Mo'nis and M.Y. Zāyed: Cairo.

Bowersock, G.W. (1971*); "A Report on Arabia Provincia*", *Journal of Roman Studies* 61, Pp: 219-42.

Bowersock, G.W. (1983); *Roman Arabia*, Harvard University Press.

Bréhier, L. (1949); *Les institutions de l'empire byzantin*, Paris.

Broshi, M. (1979); *"*The Population of Western Palestine in the Roman-Byzantine Period*", Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 236, Pp: 1-10.

Bury, J.B. (1911); *The Imperial Administrative System in the Ninth Century with a Revised Text of The Kletorologion of Philotheos*, Oxford University Press: London.

ᶜAbdullāh, M.Z. (2013); *"*Arabs Skenites "Tents Dwellers" in Palaestina tertia provincia during the Byzantine Age*", Journal of Faculty of Arts and Humanities,* Suez Canal University, *Vol. 7*.. Pp: 129-69.

ᶜAbdullāh, M.Z. (2013); *"*Sinai as a destination for Fugitives and Pilgrimages during the Byzantine Age (284-639 A.D.)", *Journal of Egyptian Historian,* The Department of History, Faculty of Art: Cairo University, *Vol. 42, No. 1*, Pp: 177-238.

Caner, D.F. (2010); *History and Hagiography from the Late Antique Sinai*, Translated Texts for Historians 53, Liverpool University Press.

Casson, L. (1952); *"*The administration of Byzantine and early Arab Palestine"*, Aegyptus* 32/1, Pp: 54-60.

Constantine Prophyrogennetos,(2012); *The Book of Ceremonies*, 2 vols. trans. A. Moffatt and M. Tall, Canberra.

Dan, Y. (1982); "Palaestina Salutaris (Tertia) and its Capital", *Israel Exploration Journal* 32/ 2-3, Pp: 134-7.

El-ᶜAbbādy, M. (1989); "Nessana and its Region in the Light of Papyri before Islam and during the First Half of Arabic Rule", In *Studies the History of Arab Peninsula*, Vol. 3, Suᶜd King University, Pp: 201-34.

Ensslin, W. (1948); *"*The Emperor and Imperial Administration*",* In N.H. Baynes and H.St.L.B. Moss (eds.), *Byzantium, An Introduction to Eastern Roman Civilization,* The Clarendon Press:

Oxford, Pp: 268-307.

Eusebius, *Onomasticon*,(2003); Eusebius of Caesarea, *Palestine in the fourth Century*, *The Onomasticon by Eusebius of Caesarea with Jerome's Latin translation and expansion in parallel from the edition of E. Klostermann*, trans. F. Grenville, Jerusalem.

Figueras, P. (1995*);* "Monks and Monasteries in the Negev Desert"*, Liber Annuus 45,* Pp: 401-50.

Graf, D.F. (1978); "The Saracens and the Defense of the Arabian Frontier", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 229, Pp: 1-26.

Grierson, Ph. (1982); *Byantine Coins*, University of California Press: Berkeley and Los Angeles.

Guillou, A. (1957); "Prise de Gaza par les Arabes au VIIe siècle", *Bulletin de Correspondance Hellénique* 81, Pp: 396-404.

Haiman, M. (1996); "Early Bronze Age IV Settlement Pattern of the Negev and Sinai Desert: View from Small Marginal Temporary Sites", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 303, Pp: 1-32.

Heath, I. (1986); *Byzantine Armies 886-1118*, London.

Ibn ᶜAbd al-Ḥakam,(1961); *Futūḥ Misr wa akhbāraha*, ed. A. ᶜĀmr, Cairo.

Ibn Isḥāq, al-Sīra,(2004); *al-Sīra al-Nabaūīa*, ed. A. F. al-Mazīdī, Beirut.

Ibn Khurradādhbih, (1889); *al-Masālik wa 'l-Mamālik*, ed. M. J. De Goeje, Leiden (BGA VI).

Ibn Saᶜd,(1991); *al-Ṭabaḳāt al-kubrā*, ed. A. M. Omar, Cairo.

Isaac, B. (1984); "Bandits in Judaea and Arabia*", Harvard Studies in Classical Philology* 88, Pp: 171-203.

Isaac, B. (1988); "The Meaning of the Terms Limes and Limitanei", *Journal of Roman Studies* 78, Pp: 125-47.

Ismāᶜīl, L.A. (1985); *Byzantine State in region of Heraclius Emperor and its relationship with Muslims*, Cairo.

Itinerarium Antonini,(1916); *Das Itinerarium Antonini*, In *Itineraria Romana*, *Romische reisewege An Der Hand Der Tabula Peutingeriana*, ed. K. Miller, Stuttgart.

Jerome, *Life of S. Hilarion*,(1892); Jerome, The Life of S. Hilarion, trans. W. H. Fremantle, *Nicene and Post Nicene Fathers 6* (*The Principal Works of St. Jerome*), New York.

John of Lydus, *On Powers*1983 John of Lydus, *On Powers or the Magistracies of the Roman State*, Translation and Commentary by A.C. Bandy, Philadelphia.

Justinian.(1904); *The Digest*, 2 vols. trans. Ch.H. Monro, London.

Kažhdan, A. (et als); (1991); *"Dioiketes",* (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York, *vol. 1*, Pp:626-7.

Kažhdan, A. & (et als). (1991); *Culter, "Protospatharios",* In. (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York , vol. 3, Pp:1748.

Kažhdan, A. (1991); *"Notitia Dignitatum",* In A. Kažhdan et als. (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York 1991, *vol. 3*, Pp:1496.

Kažhdan, A. (1991); *"Patrikios",* In A. Kažhdan et als. (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York, vol. 3, Pp: 1600.

Kažhdan, A. (1991*); "Primikerios*", In A. Kažhdan et als. (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York, *vol. 3*, Pp: 1719-20.

Kažhdan, A. (1991*); "Spatharios",* In A. Kažhdan et als. (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York, *vol. 3*, Pp: 1935-6.

Kažhdan, A. (2000*); "Byzantine and early post-Byzantine pilgrimage to the Holy Land and to Mount Sinai",* In R. Macrides (ed.), *Travel in the Byzantine world*, Papers from the Thirty-fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, Birmingham, Ashgate-Variorum 2002, Pp: 149-161.

Kažhdan, A. (et als), (1991); *"Anthypatos",* (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York, *vol. 1*, Pp:111.

Kažhdan, A. and McGeer, E. (1991);, *"Stratiotes"*, (eds.) Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York, *vol. 3,* Pp: 1965-6.

Kodāma ibn Djaᶜfar, In Ibn Khurradādhbih *al-Masālik wa 'l-Mamālik*, ed. M. J. De Goeje, Leiden 1889 (BGA VI).

Lallemand, J. (1964); *L'administration civile de l'Égypte de l'avènement de Dioclétien à la création du diocèse (284-382)*, *contribution à l'étude des rapports entre l'Égypte et l'empire à la fin du IIIe et au I IVe siècle*, académie royale de Belgique, Classe des letters memoires 57/2, Bruxelles.

Le taktikon du cod. Hierosol. Gr. 39, dit taktikon Uspenskij, In Oikonomides, N. (ed.), Les listes de preseance byzantines des IXe et Xe siècles, Paris 1972.

Lifshitz, B. (1960); *"*Sur la date du transfert de la legio VI Ferrata en Palestine", *Latomu*s 191 (Janvier-Mars), Pp:109-11.

Lifshitz, B. (1971); "Inscriptions de Sinaï et de Palestine", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 7, Pp: 151-63.

MacCoull, L.S.B. (1991); *"Nessana Papyri"*, In A. Kažhdan et als. (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York, Pp:1458.

Malalas ,John. (1986); *The Chronicle of John Malalas*, trans. E. Jeffreys, M. Jeffreys and R. Scott, Byzantina Australiensia 4, Melbourne.

Mango, M.M. (1991); "*Nessana*", In A. Kažhdan et als. (eds.), Oxford Dictionary of Byzantium, 3 vols. Oxford and New York,Pp: 1458.

Maurice's Strategikon, *Handbook of Byzantine Military Strategy*, trans. G.T. Dennis, University of Pennsylvania Press 1984.

Mayerson, Ph. (1963); "The Desert of Southern Palestine According to Byzantine Sources", Proceedings of the American Philosophical Society 107/2 (Apr. 15), Pp: 160-72.

Mayerson, Ph. (1964); "The first Muslim attacks on southern Palestine", *Transactions and Proceedings of the American Philological Association 95*_, Pp: 155-99.

Mayerson, Ph. (1967); "A Note on Demography and Land Use in the Ancient Negev", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 185, Pp: 39-43.

Mayerson, Ph. (1975); "Observations on the 'Nilus' Narrationes: Evidennce for an Unknown Christian Sect?"*, Journal of the American Research Center in Egypt* 12, Pp: 51-74.

Mayerson, Ph. (1976); *"*An Inscription in the Monastery of St. Catherine and the Martyr Tradition in Sinai"*, Dumbarton Oaks Papers 30,* Pp: 375-9.

Mayerson, Ph. (1978); *"*Procopius or Eutychius on the Construction of the Monastery at Mount Sinai: Which is the More Reliable Source", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 230*,* Pp: 33-38.

Mayerson, Ph. (1982); "The Pilgrim Routes to Mount Sinai and the Armenians", *Israel Exploration Journal* 32/1,Pp: 44-57.

Mayerson, Ph. (1983); *"*The City of Elusa in the Literary Sources of the Fourth-Sixth Centuries", *Israel Exploration Journal* 33/3-4, Pp: 247-53.

Mayerson, Ph. (1984); "'Palaestina' vs. 'Arabia' in the Byzantine Sources", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik 56 ,* Pp: 223-230.

Mayerson, Ph. (1986); "The Saracens and the Limes", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 262 (May),Pp: 35-47.

Mayerson, Ph. (1987); "Libanius and the Administration of Palestine", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 69, Pp: 251-260.

Mayerson, Ph. (1987); *"Urbanization in Palaestina Tertia: Pilgrims and Paradoxes"*, *Originally published in Hebrew in: Cathedra* 45 , Pp: 19-40.

Mayerson, Ph. (1988); "Justinian's Novel 103 and the Reorganization of Palestine", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 269 (Feb), Pp: 65-71.

Mayerson, Ph. (1990); "Towards a Comparative Study of a Frontier", *Israel Exploration Journal* 40*,* Pp: 267-79.

Mayerson, Ph. (1992); "The Island of Iotabê in the Byzantine Sources: A Reprise", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 287 (Aug), Pp: 1-4.

Mayerson, Ph. (1994); "The Ancient Agricultural Regime of Nessana and the Central Negev", In H.D. Colt (ed.), *Excavations at Nessana*, vol. 1, London, 1962, Pp: 224-269. rep. in Ph. Mayerson, Monks, Martyrs, Soldiers and Saracens, Papers on the Near East in Late Antiquity (1962-1993), Jerusalem 1994, Pp: 21-39.

Mayerson, Ph. (1995); "A Note on Iotabê and Several Other Islands in the Red Sea" *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 298 (May), Pp: 33-35.

Mayerson, Ph. (1996); "The Port of Clysma (Suez) in Transition from Roman to Arab Rule", *Journal of Near Eastern Studies* 55/2 (Apr), Pp: 119-26.

Mayerson, Ph. (1996); "Egeria and Peter the Deacon on the Site of Clysma (Suez)", *Journal of the American Research Center in Egypt* 33 (1996), Pp: 61-64.

Meimari, Y.E. (1992); *Chronological Systems in Roman-Byzantine Palestine and Arabia*, *the Evidence of the dated Greek Inscriptions*, Athens.

Muḥammad, T.M. (1993); *"Army in the Byzantine Empire from the beginning of the Seventh to the end of the Ninth Centuries",* MA thesis, Faculty of Arts in Banha: Zagazig University.

Muḥammad, T.M. (2003); *Byzantium and the External World,* Byzantines and the Islamic World, Vol. 1, Cairo.

Nau,F. "Life of Barsawma, Resume de monographies syriaques", *Revue de l'Orient chretien* 18 (1913), pp. 382-383.

Negev, A. (1961); "Avdat: A caravan Halt in the Negev", *Archaeology* 14/2 (June), Pp: 122-30.

Negev, A. (1963); "Nabatean Inscriptions from 'Avdat (Oboda)", *Israel Exploration Journal,* vol. 11/3, Pp: 127-138; *vol. 13/2*, Pp:113-124.

Negev, A. (1967); "Oboda, Mampsis and Provincia Arabia", *Israel Exploration Journal* 17/1, Pp: 46-55.

Negev, A. (1997); "The Architecture of Oboda: Final report", *Qedem* 36, Pp: 1-214.

Nicephor the Patriarch, al-*Ta'rīkh al-Mukhtaṣr 602-769*, translated to Arabic H. A. al-Bashīr, *Notitia Dignitatum*, ed. O. Seeck, Berlin, 1876.

P.Ness. & Kraemer, C.J. (ed.). (1958); *Excavations at Nissana*, vol. 3 (Non-Literary Papyri), Princeton University Press.

P.Ryl. (1952); C*atalogue of the Greek and Latin Papyri in the John Rylands Library*. vol. 4: *Documents of the Ptolemaic*, *Roman and Byzantine Periods*, ed. C.H. Roberts and E.G. Turner, Manchester.

Pigulevskia, N.F. (1983); *Arabs on the Frontier of Byzantium and Iran from the Fourth to the Sixth Centuries*, Translated from Russian to Arabic by S.O. Hāshim: Kuwait.

Pilgrim, Piacenza. (2010); *Travelogue* (*Itinerarium*) 33-42: *Jerusalem to Mount Sinai and Clysma* (551-570), In D. F. Caner, *History and Hagiography from the Late Antique Sinai*, Translated Texts for Historians 53, Liverpool University Press.

Procopius, Wars.(1914); Procopius of Caesarea, *History of the Wars*, 5 vols. trans. H. B. Dewing, Loeb Classical Library, London and New York 1914.

Prokopios, (2010); *The Secret History with related texts*, trans. A. Kaldellis, Cambridge.

Rosen, S.A. (1987); "Demographic Trends in the Negev Highlands : Preliminary Results from the Emergency Survey", *Bulletin of the American Schools of Oriental Research 266* (May), Pp: 45-58.

Rouillard, G. (1928); *L' Administration civile de l 'Égypte byzantine*, 2e edition, Paris.

Ruffini, G. (2008); *Social Networks in Byzantine Egypt*, Cambridge University Press.

Ruffini, G. (2011); *"Village Life and Family Power in Late Antique Nessana",* Transactions of the American Philological Association 141/1 (Spring), Pp: 201-25.

Sayed, A.F. (2000); "The Islamic Rule for Palestine during the Islamic caliphate in Rachides, Umayyad and Abbasside Ages in the Light of two Arabic Papyri collection in Palestine: ᶜAuga el-Ḥāfer (Nessana) and Kirbet el-Mird", *Proceedings of the International Congress: Palestine in the Light of Papyri and Inscriptions,* 5-9 September 1998, ed. A. Hanafi, Cairo 2000, Pp: 369-406.

Shahid, I. (1958); "The Last Days of Salīḥ", *Arabica* 5/2 (May), Pp: 145-58.

Shahid, I. (2008); *Rome and Arab*, Translated from English to Arabic by Q.M. Swaīdān, Damascus.

Shuqīr, N. (1991); *The History and Geography of the Ancient and Modern Sinai*, Beirut.

Socrates Scholasticus, (1890) *The Ecclesiastical History of Socrates Scholasticus from A.D. 305-439*, trans. A. C. Zenos, Nicene and Post Nicene Fathers 2, New York.

Sozomen, (1890) *The Ecclesiastical History*, trans. Ch. D. Hartranft, Nicene and Post Nicene Fathers 2, New York.

Strabo, (1930); *The Geography*, 8 vols. trans. H. E. Jones, London and New York.

Stroumsa, R. (2008); "*People and Identities in Nessana"*, Ph.D. Thesis, Duke University.

Ṭabarī (2006); *Ta'rīkh al-Rusul wa 'l-Mulūk*, ed. M. A. Ibrāhīm, Cairo.

The Novels of the sainted Theodosius Augustus, In *The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions*, trans. C. Pharr, Corpus Juris Romanorum 1, Greenwood Press: New York 1951.

The Theodosian Code and Novels and the Sirmondian Constitutions, trans. C. Pharr, Corpus Juris Romanorum 1, Greenwood Press: New York 1951.

Theodosius,(1893); *On the Topography of the Holy Land*, trans. J. Bernard, Palestine Pilgrims' Text Society 2/2, London.

Tsafrir, Y. (1986); *"The Transfer of the Negev, Sinai and Southern Transjordan from 'Arabia' to 'Palaestina'"*, Israel Exploration Journal 36/ 1-2 (1986), Pp: 77-86.

Tsafrir, Y. and Holum, K.G. (1988); "Rehovot-in-the-Negev: Preliminary Report, 1986", *Israel Exploration Journal* 38/3 (1988), Pp: 117-27.

Verreth, H. (2006); The Northern Sinai from the 7th Century BC till the 7th Century AD, *A Guide to the Sources*, 2 vols. Leuven.

Ward, W.D. (2012); "'In the Province Recently Called Palestine Salutaris': Provincial Changes in Palestine and Arabia in the Late Third and Fourth Centuries C.E.", *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik* 181, Pp: 289-302.

Yaᶜḳūbī ,*Ta'rīkh*. (1883); ed. M. Th. *Houtsma*, Leiden 1883.